Semantic mastery Sentences descriptor of the Holy Qur'an
التمكن الدلالي في تركيب الجملة الواصفة للقرآن الكريم في النص القرآني

ا.م.د. حيدر جبار عيدان
قسم اللغة العربية/كلية الآداب / جامعة الكوفة

ملخص:
أسعى في هذه الدراسة للكشف عن التمكن الدلالي في تركيب الجملة الواصفة للقرآن الكريم ، وأثرها في بناء النص؛ في اختيار الألفاظ و التراكيب في ضوء دراسة تطبيقية على النص القرآني . وللكشف عن التمكن الدلالي فقد جاء البحث في مدخل وثلاثة مطالب ، وقد عرض الباحث في المدخل الجوانب النظرية وآراء العلماء فيها، وفي المطلب الأول وقف الباحث على التمكن الدلالي في التغاير في بنية اللفظة في النص القرآني ، وربطه بدلالاته التي يوحي بها، وفي المطلب الثاني وقف على اختيار الألفاظ داخل التركيب النحوي وملائمته للمعنى والسياق وفي المطلب الثالث رصد البنى التركيبية وتحولات الجملة ، من مثل: الحذف و التقديم والتأخير، وغيرها ؛ لمعرفة مدى شيوعها في النص، وتعاضدها في تشكيل بنائه .

Abstract:
This study seeks to reveal the mastery of sentence structure in semantic descriptor of the Koran, and its impact on the construction of the text; in the choice of words and structures in the light of the Empirical Study on the Quranic text. To detect mastery Semantic have search at the entrance of the three demands came, has introduced a researcher at the entrance of the theoretical aspects and views of scientists and, in the first demand cessation researcher mastery semantic in variation in the term structure in the Quranic text, and link Bdalalath which suggests it, and in the second requirement stop on the choice of words within the syntax and suitability for the meaning and context, and in the third demand and syntactical structures and transformations wholesale monitoring, such as: deletion and rendering delays, and a steady drumbeat of qualities, and others; to see how much popularity in the text, and the interrelatedness in the formation of its construction.

مقدمة :
وبعدُ ، فلا يخفى على الحاذق اللبيب ، إن دراسة التركيب النحوي هي الطريق للوصول إلى الدلالة ، إذ أخذ الدرس الدلالي الحديث ينزع إلى عدم التفرقة بين الجانب النحوي والجانب الدلالي، إلاّ إن المشكلة التي واجهت اللغويين المحدثين ولاسيما أصحاب النظريات النحوية الحديثة، هي تحديد مكان(الدلالة (في هذه النظريات النحوية، فهل تكمن في المعاني المعجمية للمفردات المكونة للتراكيب، أو أنّها تكمن في الوظائف النحوية لهذه المفردات، أو في طبيعة العلاقات الرابطة بين وظائفها؟
والحقُّ أن هذه العناصر جميعها تلتقي لتتفاعل فيما بينها وصولاً إلى ناتج دلالي للجانب النحوي ولما كانت الدراسات اللغوية ، تتخذ من اللغة وسيلة لدراسة تركيب اللغة النحوي، وتتخذ من المعنى أساساً للوصف اللغوي، كان لابد من أن تُمثل (الدلالة) موقع الصدارة في التحليل اللغوي، وهو الأمر الذي حول اهتمام اللغويين من التركيز على تركيب اللغة النحوي إلى النظر في الغاية التي من اجلها قامت الألفاظ و التراكيب في تشكيل لغوي معين .
وفرضية البحث تقوم على الكشف عن التمكن الدلالي في تركيب الجملة الواصفة للقرآن الكريم في النص القرآني من حيث موضع اللفظة وتوافقها مع ما يجاورها من ألفاظ ، فالألفاظ والتراكيب آليات اللغة ، وحتى يحسن الأداء ليعطي المعنى المطلوب،عليه ان ينضبط على وفق القواعد والقوانين التي يعترف بها المنطق اللغوي ، الذي اشترط لقبول المعنى وصحته ان يكون التركيب موافقا له وقريبا منه ، وكلما ابتعدت نقاط هذا التشابه ، زاد اللبس وتزعزع اليقين بالمعنى وفَقَد التماسك .
وقد وجد البحث ان التمكن الدلالي للجملة الواصفة للقرآن الكريم في النص القرآني تكمن في ثلاثة محاور ، الأول وقف فيه الباحث على التمكن الدلالي في التغاير في بنية اللفظة في النص القرآني ، وربطه بدلالاته التي يوحي بها، وفي المحور الثاني وقف على اختيار الألفاظ داخل التركيب النحوي وملاءمته للمعنى والسياق ، وفي المحور الثالث رصد البنى التركيبية وتحولات الجملة ، من مثل: الحذف و التقديم والتأخير، وغيرها ؛ لمعرفة ما تؤديه في النص القرآني الواصف للقرآن الكريم، وتعاضدها في تشكيل بنائه . وقد سبقتها بمدخل للجوانب النظرية وآراء العلماء في التمكن الدلالي في تركيب الجملة الواصفة للقرآن الكريم ، وأثرها في بناء النص .

مدخل :

مهما تكن درجة استقلالية النظم القرآني وإبداعه ثمة قول لا بد منه ، هو ان القرآن الكريم جاء على وفق كلام العرب و بما هو أكثر فصاحة وأعمق بلاغة في بناء الجملة مع أنماط أسلوبية خالدة بتكوينها الجُملي. و استثمار الطاقة التعبيرية للألفاظ والتراكيب في نص مبدع جعلها تبهر الأذهان بالقدرة الدلالية الهائلة ، والقوة التي تمنحها بياناً في تشكيل الآيات الواصفة للقرآن الكريم بما يجعلها مؤثرات لاتُستثنى من طبيعة الجمال الذي يقوم عليه القرآن الكريم نحويا و بلاغياً.

إنّ القيمة التي تقوم عليها (الألفاظ والتراكيب) في (إيصال المعنى) تتأسس على تلك القدرة الايصالية بدلا عن القدرة الصورية ، ومِن ثَمَّ لم يكن ليصحَّ للبيان القرآني أن يُغير الترتيب التركيبي للجملة هنا أو هناك ، إلا لما وافقت ما جاءت فيه، ولَمَا كانت تعبيرًا مُطابقًا لواقع المحكي عنه؛ أي ان ترتيب الجملة على نسَقِ ما ، إنما رُوعي فيه المَوقِف الذي يُعبر عنه فحسب، وليس هناك التزام بترتيب قاعدي مُعيَّن، فترتيب التركيب في الجملة القرآنية على هذا لا يخضَع إلا لما يَقصِد بيانه والكشف عنه.

والتمكن الدلالي الذي يقصده البحث **هو تلك القدرة التي تعطي الوحدات اللغوية القيمة الدلالية المؤثرة بحسب الهدف المقصود منها وهي ترتبط بتركيب الجملة القائم على اختيار الألفاظ وموضعها وتناسقها مع ما يجاورها داخل التركيب لتأخذ بعدا دلاليا آخر من الحركة الدلالية للنص** ، قال عبد القاهر الجرجاني ((وهل قالوا: لفظةٌ متمكنة ومقبولة، وفي خلافه؛ قلقلة ونابية، ومستكرهة، إلا وغرَضُهم أن يعبِّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبوِّ عن سوء التلاؤم، وأنَّ الأولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفْقاً للتالية في مؤدَّاها))[1] ، فالتمكن بين الألفاظ هو ((مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها وفضل مؤانستها لجاراتها؟)) [2] ، وعليه يكون المراد من التمكن الدلالي في تركيب الجملة الواصفة للقرآن تماسك علاقات الإسناد بين عناصرها اللغوية التي تتألف منها وتحويلها إلى خطاب فعال يؤدي المعنى المطلوب بقدرة اتصالية لا يمكن ان ينوب عنها غيره من جهة ، ولا يمكن ان تبدل لفظة مكان غيرها فيه ، من جهة ثانية ؛ إذ ((ان من أهم ما يميز الجملة القرآنية الدقة في التعبير فقد استعملت كل الطرائق التي تؤدي إلى المعنى على أتم وجه)) [3] ، مما يجعلها مثيرة لخيال المتلقي باستنباط علاقات الفهم بين عناصرها المكونة لها ، وبالاعتماد على السياق الذي ترد فيه ، فكثير ما يخرج التمكن الدلالي بالجملة القرآنية عن النمط المألوف في التعبير عن المعاني مما اكسبها مطاوعة وحركة في التعبير عن المعنى بسياقها العام [4] ، وقد أحصيت الآيات المتناظرة في التركيب التي تصف القرآن الكريم ، فوجدتها في أكثر من ستة وتسعين موضعاً[5]. ومن هنا كانت دلالة الوصف القرآني متصورة بعلاقة الإسناد بين عناصر الجملة لتلقيه في نفس السامع حتى إذا استكملت الجملة أركانها حضر المعنى ظاهرا في ((قيم أسلوبية ، ثم تستمد قيما جديدة متحولة من النص والموقف والبيئة ومن طبيعة اللغة التي تنتمي إليها ، وفي إطار العناصر المكتوبة لها والعلاقات التي تربط بينها)) [6] ، ومن ثم يرتبط مستوى جمال الجملة الواصفة للقرآن بنوع العلاقة التي تنشأ بين العناصر اللغوية التي تقع في نطاق الإسناد ، وكل ما ابتعد الإسناد عن المألوف كان ادعى للإثارة وتحريك خيال المتلقي ؛ لما عليه الاستعمال القرآني للجملة من رقي في الاستعمال للغة مستنفذا لذلك كل القيم الجمالية والدلالية التي تفرزها اللغة في الصياغة الأدبية ((ومن هنا يصبح المجال الأدبي هو الميدان الحقيقي للدراسة(الإطار الدلالي المركب) لما فيه من امكانات تعبيرية تزيد على مجرد الحديث المألوف او مجرد نقل المعنى))[7] ، ويمكن رؤية ذلك باستعمال القرآن الكريم للجمل التي تصف القرآن الكريم بالأداء االبلاغي المتكامل .

المبحث الأول

التمكن الدلالي في تغاير البنية في الآيات المتماثلة الواصفة للقرآن الكريم

من مظاهر الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم تنوع توظيف الصيغ المشتقة من أصل واحد . فمن المعلوم أن لكل كلمة عربية مشتقة جذراً لغوياً هو الأصل في كل الصيغ التي اشتقت منه . وهذا الجذر غالباً ما يكون ثلاثياً مكونا من ثلاثة أحرف . وهذا الأساس الاشتقاقي موظف في السياق القرآني على شكل جمالي فريد، ولذا كان لا بد من الوقوف على تنوعات الاشتقاق من الجذر الواحد في هذا السياق ، وإدراك فنيات التلاؤم الدلالي بين هذه الصيغ .

فهذا التَّحوُّل في الصِّيغ في السِّياق القرآنيِّ، أو التغاير من صيغة إلى صيغة أخرى يُعدُّ أحد روافد التَّحليل اللُّغويِّ، بل يمثِّل إحدى الوسائل التي تساعد على التَّماسك الشَّكليِّ ، وتُعدُّ مدخلاً من مداخل التَّحليل اللُّغويِّ للنَّص؛ للوصول إلى المضمون أو الغاية الدَّلاليَّة من تشاكل الألفاظ، يقول ابن الأثير: ((اعلم أيُّها المتوشِّح لمعرفة علم البيان، أنَّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخَّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة و البلاغة، الذي اطَّلع على أسرارها، وفتَّش عن دقائقها، ولا تجد ذلك في كلِّ كلام فإنَّه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقِّها، وأغمضها طريقًا))[8].لذلك ينهج القرآن الكريم في توظيفه للأفعال نهجاً فريداً ، إذ يوظف هذه الأفعال بكل تشكيلاتها الصرفية في سياقات متنوعة ، تتلاءم وهذه السياقات . هذا بالرغم من الاتحاد الصيغي لهذه الأفعال في عودتها إلى (مادة لغوية واحدة) ، لكن مراعاة مبدأ التناسب النصي والدلالي هو الحاكم في هذا التنوع الوظيفي .

لذا فإننا هنا معنيون بالوقوف على حكمة اختصاص كل آية بصيغة فعلية موظفة في سياقها ؛ إذ لابد من وجود فروق دلالية دقيقة بين هذه الصيغ دعت إلى استعمالها .

توجد في القرآن الكريم تراكيب للجملة في آيات تناظر تراكيب أخرى في آيات ثانية ، ولكنها تفترق بأشياء جزئية من حيث تقديم أو تأخير أو حذف وذكر أو تعريف أو تنكير ، أو فصل ووصل ، وغيرها على الرغم من اتحاد تلك التراكيب في المعنى العام ، وتعد هذه الظاهرة النحوية من الظواهر البارزة في القرآن الكريم ، وتشكل مظهراً من مظاهر إعجازه[9].

إنَّ هذه الظاهرة الدلالية تحث الدارس على البحث والتأمل في الوظائف اللغوية والتواصليّة لهذا الاختلاف في التراكيب النحوية فهي صورة من صور إعادة توزيع اللغة في النص القرآني ؛ ليحقق ما يسمى بالانزياح أو الانعطاف النحوي القائم على جملة من القواعد الشكليّة التي يستثمرها النص القرآني المقدس لقصد ما [10] ، ومنها الزيادة في حرف أو لفظ أو عبارة ، أو تذكير

للفظة وتأنيث لها ، وغيرها [11] ، وهذا الانزياح أو الانعطاف في التركيب يعني التمكن الدلالي القائم في ذلك التركيب بتأثيره بالمتلقي ، وجعله متلق إيجابي يستطيع التفاعل مع العناصر المتغايرة من تركيب إلى آخر. ومن هذا التغاير في الآيات الواصفة للقرآن الكريم:

1- بين (أنزل) و (نزل) .

رصد اللغويون الدلالات التي يكتسبها الفعل عند زيادته بالهمزة أو التضعيف وهي دلالات محدودة ،لكن ذلك لا يجري على كل الأمثلة في اللغة[12] ، وورد في الآيات الواصفة للقرآن الكريم آيات تتشابه في تراكيبها إلا أنها تفترق في صيغتي الفعل (نزّل) المضعف العين ، و (أنزل) المزيد بالهمزة في أوله ، وحين يرد الفعل المضعف (نزَّل) مع القرآن الكريم ، فهو يفيد التكرار والتدرج والتأكيد قال تعالى : ((**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**)) آل عمران(3) ، ويستعمل القرآن الكريم الفعل (أنزل) مع القرآن الكريم أيضاً والكتب السماوية الأخرى ، قال تعالى : ((**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ**)) آل عمران (3) ، وقد ذهب المفسرون إلى أن صيغة (فعَّل) المشددة هي للمبالغة والتكثير،والقرآن الكريم إنما أنزل منجما على عشرين سنة بخلاف الكتابين قبله ، فقد نزلا جملة واحدة فاستعمل معها الفعل (أنزل)[13] وقد لاحظ الغرناطي ذلك التغاير التركيبي بالتغاير بين الفعلين ووجد ((إنَّ لفظة (نزَّل) يقتضي التكرار ؛ لأجل التضعيف تقول : (ضرب) مخففاً لمن وقع ذلك عليه مرة واحدة ويحتمل الزيادة والتقليل أنسب وأقوى .أما إذا قلنا : (ضرَّب) بتشديد الراء ، فلا يقال ذلك إلا لمن كثر منه ذلك فقوله تعالى : ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ)) مشيرا إلى تنزيل تفصيل المنزل وتنجيمه بحسب الدعاوى ، وإنه لم ينزل دفعة واحدة .أما لفظ (أنزل) فلا يعطي ذلك إعطاء (نزل) ، وإن كان محتملا، وكذا جرى في أحوال هذه الكتب ؛ فإن التوراة إنما أوتيها موسى (عليه السلام) دفعة واحدة في وقت واحد)) [14] . وأما الفعل (أنزل) فقد يقترن بنزول القرآن الكريم كقوله تعالى : ((**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآنُ هُدىً لِلناسِ وبيِّناتٍ مِنَ الهُدى والفُرقَان**)) (البقرة 185)، وكقوله تعالى : ((**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ**)) (الأنبياء10) وقد فسر أبو حيان : ((إن التعدية بالتضعيف لا تدل على التكثير ولا التنجيم ، وقد جاء في القرآن الكريم نزل وأنزل قال تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ)(النحل: من الآية64) ، (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ)(النحل: من الآية89) فلو كان أحدهما يدل على التنجيم والآخر يدل على النزول دفعة واحدة لتناقض الإخبار وهو محال))[15]، فورود الفعل المضعف (نزَّل) مع القرآن الكريم ، يفيد التكرار والتدرج والتأكيد قال تعالى : ((**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**)) آل عمران(3) ، وأما الفعل (أنزل) فقد يقترن بنزول القرآن الكريم دفعة واحدة كقوله تعالى : ((**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القرآنُ هُدىً لِلناسِ وبيِّناتٍ مِنَ الهُدى والفُرقَان**)) (البقرة185) إلى السماء الدنيا .

فقد انفرد القرآن الكريم عن سائر الكتب المقدسة بصفتي الإنزال والتنزيل، وبهاتين الصفتين يكون القرآن الكريم قد تميز من بقية الكتب السماوية الأخرى ، ويبدو أن هذا متأتٍ من أن القرآن الكريم نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ثم أخذ بالنزول تدريجياً بحسب الوقائع والظروف ، وهذا ما بينه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديثه الشريف عن ابن عباس بقوله : ((أنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئا أنزل منه حتى جمعه))[16]، وبهذا فهو يختلف عن سائر الكتب السماوية الأخرى في كيفية نزوله.

ومع ذلك فقد لاحظ المفسرون والدارسون أن للمعنى الدقيق اثراً في اختيار الفعل (نزَّل) أو (انزل) ، وقد ورد (نزَّل) في القرآن الكريم وقد يراد به الشدة في التعبير أما الفعل (أنزل) فقد لا يدل على الشدة [17]، يقول الدكتور حسن طبل : ((إن الفرق بين صيغتي (نزَّل) ـ أنزل) هو أن الاولى تنطوي بنيتها على التضعيف والمبالغة ، والمبالغة فيها لا تدل على تنجيم النزول بل على تأكيد معنى النزول أي المبالغة في إثبات وقوعه أما صيغة (أنزل) فهي تدل على مجرد النزول دون مبالغة أو تأكيد في إثباته))[18] .وسواء أ كان هذا المعنى أم ذاك ، فإن السمة الدلالية التي يتحلى بها هذان الفعلان جعلت الوصف القرآني يتميز عند المتلقي بالتمكن الدلالي الناشئ من التغاير المقصود في تركيب الجملتين ، فيرتد ذهنه إلى كشف الدلالات المتوخاة من هذا التغاير، ومن ثم يكمن سر الوصف القرآني من الباري عز وجل.

ومنه أيضا قوله تعالى : ((**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**)) (محمد:9) ، وقوله تعالى : ((**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**)) محمد(26) .

فقد جاء الفعلان (أنزل) و(نزّل) وهما متفقان فيما تعلق بهما من الاسم الموصول الذي يدل على القرآن الكريم ، ويمكن توجيه ذلك بالسياق الذي جاء عليه الفعلان ، فسياق الفعل (أنزل) في الآية الأولى لا يدل على الشدة والقوة في التعبير ؛ لأنها لا تتكلم عن الكافرين إلا في آيتين فقط ، هذه الآية والآية السابقة : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ)) محمد (8) ، وإن الآيات اللاحقة لا تتكلم عن الكافرين وإنما عن الذين سبقهم ، في حين أنَّ الآية الثانية الواصفة للنزول ((**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**)) محمد(26)تتكلم عن الكافرين فهي تخصهم وحدهم ، فكان هناك شدة في التعبير والقسوة فيه فقال بعدها : ((**فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**)) (27-28) ، فالسياق يدل على الشدة في خطاب الكافرين فناسبه الفعل (نزَّل) المضعف العين ليدل عل ما هو أشد وأقوى ،في حين استعمل الفعل (أنزل) في ما ليس فيه شدة و قسوة في التعبير[19].

إن الوصف القرآني بالفعل المزيد (أنزل) ،والمضعف (نزَّل) قد برز بانسجامه مع تبيان الحالة النفسية التي جاء عليها الكافرون فجيء بوصف القرآن الكريم منسجما مع تبيان كرههم لنزوله أو تنزيله على الرغم من أنوفهم فساد عليهم طوعا أو كرهاً، ثم إن تبادل الفعلين (أنزل) و(نزل) في سورة واحدة ، وفي موضعين لا يكادان يبتعدان كثيراً يشهد تمكنا دلاليا كبيراً بتوليد عنصر المفاجأة لدي المتلقي ، فيجعل ذهنه في ترقب دائم لمعرفة السبب الذي دعا إلى هذا التبادل المقصود في صفة النزول القرآني خصوصاً وإن فعلي الإنزال يخصان القرآن الكريم المعبر عنه بالاسم الموصول (ما) في كلتا الآيتين الكريمتين.

2- بين تذكير الضمير وتأنيثه مع لفظة (تذكرة)

عد أغلب علماء العربية التذكير هو الأصل [20] ، وعليه يكون التأنيث فرعا عليه ؛ لذلك احتاج إلى علامة تدل عليه [21] وقد يتميز تذكير اللفظة وتأنيثها بالسياق الذي ترد فيه، وقد جاء تذكير لفظة (التذكرة) التي تعني القرآن الكريم في قوله تعالى :((**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ**)) المدثر (54) .وجاء تأنيثها في قوله تعالى : ((**كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ**)) عبس (11) ، وقد رأى الخطيب الاسكافي ، انه يقال : التذكرة مصدر من ذكرت اذكر تذكيراً وتذكرة و يقال: قدمت تقديماً أو تقدمة وكرمت تكريماً وتكرمة ، فلما كانت الآيات المتقدمة في سورة المدثر فواصلها في الوقف (هاء) كقوله : (حمر مستنفرة، فرت من قسورة ،وصحفا منشرة ،كلا انه تذكرة ، فمن شاء ذكره) عادت الهاء إلى مذكر فدلت التذكرة عليه وهو بمعناها ، وهو التذكرة والتذكر لتعادل الفواصل معنى من شاء ذكره[22] ، فالخطيب الاسكافي قد نظر إلى السياق اللفظي في توجيه الآية الكريمة ولم يعد ينظر إلى الجانب الدلالي.

ورأى الكرماني: أنَّ التذكير في قوله تعالى : في آية سورة المدثر : (إنه تذكرة) لأنَّ تقدير الآية : إن القرآن تذكرة ، والتأنيث في آية سورة عبس:(إنها تذكرة) لأن التقدير : إن آيات القرآن تذكرة ، وقيل حمل التذكرة على التذكير لأنها بمعناه[23]،ورأى الغرناطي أنَّ ((المذكر به عظه أو موعظة وهو أيضا وعظ وتنبيه فتارة تراعي العرب في مثل هذا جهة التذكير وتارة تراعي جهة التأنيث فتحمل الضمير على ما تقدره من تأنيث وتذكير))[24].

والملاحظ أن الإسكافي والكرماني والغرناطي وجهوا التأنيث في عودة الضمير المذكر على اللفظة (تذكرة) في آية المدثر وهو مما لم تجرِ عليه العربية ، وهو أن الضمير في (انه) للغائب و (انها) للغائبة[25] ، وأما ضمير الشأن في الآية في قوله تعالى (إنه تذكرة) (المدثر 53) ففي قواعد النحاة يختار تأنيث الضمير لرجوعه إلى مؤنث[26] ، وهذا الضمير راجع في الحقيقة إلى المسؤول عنه، بسؤال مقدر ، وأرى انه يرجع الى اسم السورة (المدثر) لذلك كان التذكير ، فالقصد بهذا الإبهام ثم التفسير تعظيم الأمر للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك تعظيم للقرآن الكريم[27] ، ولكن الاسكافي وجهه إلى رعاية الفاصلة ، وهنا نسأل هل الفاصلة في منطق لغة القرآن الكريم أهم من المعنى؟ ، ولو فرضنا مراعاة الفاصلة فما المانع من قوله (إنها تذكرة) وليس (إنه) ؟ الجواب أن القصد واضح ، وهو تفخيم شأن القرآن الكريم في سياق إعراضهم عنه وسخرية الفاسقين من الذين طلبوا الصحف المنتشرة ولو لم يكن القصد تعظيمه لقال (إن هذا تذكرة)، هذا هو الأقرب وان كان التأنيث يأتي معه التعظيم ايضا، ولكن الذي دل على هذا التعظيم اجتماع المؤكد (إنّ) مع ضمير الشأن المبهم مع تنكير (التذكرة) بعد قوله (كلا) للردع الصريح .

وفي خصائص الحرف المشبه بالفعل (إن) يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني : ((أنك ترى ضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه بل لا تراه يصلح إذ صلح الا بها))[28] ، ودلالة كل ذلك التوكيد والتعظيم أضف إلى ان التذكير في (تذكرة) يعضد ذلك التعظيم فالقرآن الكريم تذكرة وما بعده أبلغ ولا أعظم في توجيه الإنسان إلى ما يصلح دنياه وآخرته فعاد الضمير على القرآن الكريم وكلام الله بالتذكير في آية المدثر وهي الأسبق من سورة عبس ، لكن القصد لم يذهب إلى الأصل في التذكير والفرع في التأنيث لأن قوله : (إنه) قصد به القرآن الكريم كله وقوله : (إنها) أي آياته أو سوره تذكره وهذه علاقة أصل وفرع بين القرآن الكريم وسوره أو آياته وليس بين المذكر والمؤنث[29] .

3- بين (ذكرى) و (ذكر) .

ومن ذلك قوله تعالى : ((**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**)) الأنعام(90) ، وقوله تعالى : ((**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**)) التكوير (27) ، فقد توافق التركيبان في الآيتين الواصفتين للقرآن الكريم إلا إنَّ الآية الأولى جاء الوصف (ذكرى) على (فعلى) ، وفي الثانية جاء الوصف (ذكر) على (فعل) وقد وجه الغرناطي هذا التباين في كلا التركيبين بأنَّ ((آية التكوير لما تقدمها القسم على القرآن بقوله تعالى : (فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ) التكوير (15) . إلى ما وقع القسم به ، ثم ورد المقسم عليه في قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) التكوير (19) ، أي إنَّ القرآن لقول رسول كريم، والمراد به جبريل (عليه السلام) ، ثم أتبع بوصفه إلى قوله : (ثُمَّ أَمِيْنٍ) التكوير (21) ، ثم قيل : (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) التكوير (22) . والإشارة إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزهه تعالى عن قول أعدائه ونسبتهم إياه إلى الجنون، ثم وصفه تعالى بأنه على الغيب الموحى به إليه والمؤتمن على تبليغه غير متهم ولا بخيل على القراءتين فقال : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) التكوير (24) . ثم أعقب بقوله تعالى : (وَمَا هُوَ) أي : وما القرآن : (بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) التكوير (25) فجرت هذه الضمائر على التذكير على ما يجب ، ثم اتبع بقطع تعلقهم فقيل : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) التكوير (26) ، ثم قال : (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) التكوير (27) والضمير للقرآن ولا يمكن وروده على خلاف هذا لمنافرة التناسب ومباعدة التلاؤم.

وأما آية الأنعام فتقدمها قوله تعالى : (**أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**) (الأنعام:89) . فنوسب بين قوله : (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى) ما تقدم فكأنَّ التقدير : إن هو ، أي : الأمر أو المراد المقصود أو ما ذكر من الكتاب والحكم والنبوة إلا ذكرى ، فناسبه ذكرى هنا لما تقدم بيانه ، ولم يتقدم هنا ما يستدعي لفظ التذكير أو يناسبه)) [30] ، ويبدو أنَّ الغرناطي قد اعتمد على السياق في توجيه تشابه الآيتين ، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أهمية السياق في إظهار الدلالة المرجوة من وصف القرآن الكريم بهذه الكلمة وتارة بتلك ، وكلاهما يؤدي بالنهاية إلى وصف أرقى للقرآن الكريم ، بالتغاير التركيبي الذي يؤدي إلى التغاير الدلالي الواضح بين الآيتين.

4- بين (نسلكه) و (سلكناه)

وقف علماء النحو والصرف في مصنفاتهم على ما يدل عليه الفعل المضارع وما يدل عليه الفعل الماضي ، وبينوا سبب تواجد كل منهما في الجملة العربية ، وتوسعوا في معالجة مسائله ووقفوا عند دلالاته ومعانيه [31] ومما ورد من تشابه التركيب القرآني مع تغيير طفيف في بعض أجزائه المتمثلة بالأفعال قوله تعالى واصفاً كتابه العزيز : ((**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**)) الحجر(12) وبين قوله تعالى : ((**كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**)) الشعراء(200) ، فقد جاء في الآية الأولى بالفعل المضارع (نسلكه) ، وفي الآية الثانية بالفعل الماضي (سلكناه) مع اتفاق الآيتين في جميع الألفاظ والتركيب .

ويبدو أنّ الفعل المضارع (نسلكه) في الآية الأولى يدل على الاتساع في الزمن لما عليه الفعل المضارع من دلالة على الحال والاستقبال ، فإنَّ فيه إشارة إلى حال قريش في تكذيبهم لما جاء به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وبعد مماته

وهو زمن طويل ومستمر وهذا غاية الوصف للقرآن الكريم بعرض أحوال المعارضين له ، فهي صورة مظلمة يستفاد منها صورة أخرى مشرقة للوصف القرآني ، قال ابن عاشور : ((أي هكذا نولج القرآن في عقول المشركين ، فإنهم يسمعونه ويفهمونه إذ هو من كلامهم ويدركون خصائصه؛ ولكنه لا يستقر في عقولهم استقرار تصديق به بل هم مكذبون به ....وبهذا السلوك تقوم الحجة عليهم بتبليغ القرآن إليهم ويعاد إسماعهُم إياه المرة بعد المرة لتقوم الحجة)) [32] ، وهذا ما لا تحققه صيغة الفعل الماضي (سلكناه) في الآية الثانية ، قال الغرناطي : ((تقدم في آية الحجر قوله تعالى : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) الحجر6، ولم يتقدم في هذه السورة إخبار بحال غيرهم من مكذبي الأمم سوى التعريف بأنَّ كل قرية أهلكت بأجل معلوم ، وكتاب سابق لا يتأخر عنه ولا يتقدم . وقوله : (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ) الضمير للمذكر المتقدم ، وهو هنا القرآن الكريم ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر(9) .فورد هنا (نسلكه) بلفظ المبهم ؛ لأنَّ الإخبار عن كفار قريش ممن استمر على كفره ، فهو حالهم وقت نزول القرآن وبعده وقوله : (نسلكه) مشعر باستمرار حالهم وموافاتهم على ذلك)) [33] ، ومما يدل على ذلك سياق النص فقوله تعالى : (لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ، وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) الحجر (13-15) يؤكد على عدم إيمانهم واستمرارهم على الكفر ، قال الزمخشري : ((والمعنى أنّ هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد : أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ، ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ، ورأوا من العيان ما رأوا ، لقالوا : هو شيء نتخايله لا حقيقة له ، ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك)) [34] ، إن استعمال الفعل (سلكناه) يتبين منه أيضا وصف عظيم للقرآن لما يدل عليه بأنه مسلك في قلوب المجرمين ، أي أدخلنا القرآنَ (فِي قُلُوبِ المجرمين) ففهمُوا معانيه وعرَفوا فصاحتَه وأنه خارجٌ عن القُوى البشرَّية من حيث النَّظمُ المُعجزُ ومن حيثُ الإخبارُ عن الغيبِ وقد انضمَّ إليه اتِّفاقُ علماء أهل الكتبِ المنزلة قبله على تضمنها للبشارةِ بإنزالِه وبعثةِ مَن أنزل عليه بأوصافِه[35]؛ لذلك ناسب الماضي من دون المضارع ليتمكن من دلالة التعظيم للقرآن الكريم عند المجرمين المعاندين ولو جاء بالمضارع لناسب أيضا لكنه ليس بقوة الماضي الدلالية في الآية(الشعراء200).

ورأى ابن عاشور أن المعنى في الآيتين واحد ، ، لكن اختيار المضارع في سورة الحجر دال على التجدد لئلا يتوهم أن المقصود إبلاغٌ من مضى دون كفار قريش، وأما آية سورة الشعراء فلم يتقدم فيها ذكر لغير كفار قريش فناسبها حكاية وقوع هذا الإبلاغ منذ زمن مضَى . وهم مستمرون على عدم الإيمان[36] .

المبحث الثاني

التمكن الدلالي في اختيار الألفاظ للآيات الواصفة للقرآن الكريم

مما لا شك فيه ان الاختيار هو استعمال لفظ ما لدقته في التعبير عن المعنى المراد بدلا من لفظ آخر يقتضيه السياق. و القرآن الكريم يستعمل اللفظة لتأخذ بُعداً آخر من الحركة الدلالية للنَّص ؛ لأنَّ اختياره للألفاظ داخل التراكيب سر من أسرار إعجازه ، وأمر مقصود في بنائه ،:فـ((ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم ، ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك إلاّ لفضيلة التركيب)) [37] ، وملائمة الألفاظ للمعنى والسياق التي ترد فيه ، لهذا أوضح أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي(388هـ) أنَّ إعجاز القرآن الكريم يكون من هذه الناحية بقوله : ((واعلم ان القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمناً اصح المعاني)) [38]، وهنا يكمن السرّ في بقاء الكلمة القرآنية حيّة، يكمن وراءها معنى وهدف، وأن لها خصائص ومميّزات، وأنها مختارة ومنتقاة.. ومن ثمّ، فهي تُوضع في العبارة القرآنية في محلّها الطبيعي، بحيث لا يمكن أن تسدّ أيّة كلمة أخرى مكانها، ولا أن تعطي نفس الأبعاد والظلال التي كانت تعطيها تلك الكلمة .

وبهذا تكون البلاغة الحقة التي هي ((وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وأما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة)) [39]

ومهما يكن من أمر فإنَّ تمكّن اللفظة يرتبط بالعلاقات بين البُنى المتوالية للنَّص بأكمله على وفق مناسبة اللفظة لمعناها وسياقها [40] التي ترد فيه ((ومعنى ذلك أنَّ اختيار اللفظة له شأن مهمٌ في التناسق الرفيع ، وكذلك وضع الكلمة في مكانها))[41] له حظه الكبير في الوصول الى المعنى فتأخذ اللفظة مكانها الدقيق في الجملة إذ لا يمكن الاستغناء عنها بغيرها.

ومن هنا سأتناول دراسة القيمة الدلالية للفظة ، وأثرها الدلالي ، ثم طبيعة اختيار القرآن الكريم لها في ضوء السياق العام وتراكيب الكلام اللغويَّة ؛ لأنَّ للألفاظ علاقة كبيرة بتراكيب اللغة ، فهناك ألفاظ معيَّنة تحظى بتعبيريَّة داخليَّة وطبيعة تختلف فيها عن الألفاظ الأخرى المشتركة معها في تكوين التركيب [42] ، وبهذا يتم التمكن الدلالي للألفاظ ، وسيقف البحث عند أمثلة متشابهة من ناحية الوظيفة النحوية أو متشابهة في معنى اللفظة أو مقاربة لها ، أحاول بها تبيين المسوّغات التي جعلت هذه اللفظة تتمكّن من سياقها التي ترد فيه من دون لفظة أخرى تقترب من دلالتها العامّة.

- بين (إلى) و(على)

لحرف الجر (إلى) معانٍ كثيرة وقد اقتصر سيبويه على ذكر معنى واحد وهو الانتهاء من ابتداء الغاية[43] ، وإنَّ حرف الجر (على) يدل على استعلاء الشيء حقيقة أو مجازاً[44]، ومن صور التبادل بين هذين الحرفين ما جاء في الآيتين من قوله تعالى : ((**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)) البقرة (136) ، وقوله تعالى : ((**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**))آل عمران84 ؛ إذ جاء الجر (إلى) في (إلينا) و(على) في (علينا) في الآيتين الكريمتين اللتين تصفان نزول القرآن الكريم ، وقد نظر الخطيب الإسكافي إلى دلالة حرف الجر (على) في الآية(ال عمران84) ورأى أنها موضوعة لكون

الشيء بجهة واحدة ، و(إلى)في الاية (البقرة136) المنتهي من علو ، فهو مختص من الجهات الستّ كلها، فإن توجه نحو الشيء شيء من عن يمينه مثلا أو شماله ... فإذا بلغه قالوا انتهى إليه ، فلا يتخصص إلى جهة واحدة حاله حال تخصص (على) .

اما في قوله : (قولوا آمنا بالله) فاختيرت فيها (إلى) لأنها مصدرة بخطاب المسلمين فوجب أن يختار (إلى) ثم جعل ما عطف عليه على لفظه بحق الإتباع وإنْ صحّ فيه معنى الانتهاء، فالمؤمنون لم ينزل عليهم الوحي من السماء وإنما انزل على الأنبياء ثم انتهى من عندهم إليهم فكان خطاب (قولوا) لغير الأنبياء بل لأممهم كان اختيار (إلى) أولى من اختيار (على) ، وفي سورة آل عمران صدرت الآية بما هو خطاب للنبي وهو قوله تعالى (قل آمنا بالله وما انزل علينا ....) كانت (على) أحق بهذا المكان لأن الوحي أنزل عليه وفي لفظ أنزل دلالة على انفصال الشيء من فوق ثم انتهى من عند الأنبياء إلى الناس[45] .

وأشار الخطيب الإسكافي إلى قوله (قولوا) قصد به المؤمنين فقط ، ويرى الزمخشري ان الخطاب يشمل كل إنسان مدعو إلى الإيمان و إتباع الحق[46]، ورد صحة توجيه الآية في معنى إلينا هو خطاب للمؤمنين وقوله علينا إنما هو خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأى بأن ذلك تعسف ؛ لأن من الآيات ما جاءت خطابا للنبي بحرف الجر إلى(مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) المائدة(68) ومنها ما جاءت للمؤمنين بالحرف على ((آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا)) آل عمران(72) [47].

وأرى إن توجيه الخطيب الإسكافي لحرف الجر (على) فيه من الصحة والدلالة على ما عاناه المسلمون من المشقة مع نبيهم فلو جاءت (على) مع (الذين آمنوا) لا يبرر معها رد الزمخشري. لأن (على) قد تدل على الأفعال الشاقة المستثقلة[48] فإن (على) لا تدل في هذا السياق على المشقة فقط وإنما على ثقل ما أنزل ،وهذا تصوير رائع لعظمة القرآن الكريم إذ يقول الإسكافي : إن فيها دلالة على انفصال الشيء من فوق ، فما أنزل هو ثقل يحتاج حمله إلى مشقة ثم ما عاناه المسلمون من العذاب يبرر دلالة (على) في صحة توجيه الإسكافي ، أما قوله (قل) ثم قال (آمنا) بالجمع فلأن سياق الآية السابق كان قد أشار إلى وجود النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع المسلمين لقوله : (فاشهدوا وانأ معكم من الشاهدين) لذلك كان الخطاب له ولهم[49] .

إن وجود حرف الاستعلاء (على) في الآية الثانية قد كسر أفق التوقع لدى المتلقي الذي يقوم بالمقارنة بين تركيبي الآيتين ، وفي أثناء ذلك تنشأ الصدمة الدلالية عنده ليجد في وصف القرآن الكريم الدلالة والقيمة التعبيرية ، بما يحمله هذا الحرف من دلالات مقصودة لذاتها.

- بين (ما) و (الذي)

لـ(ما) وجهان عند النحاة فتكون اسمية وحرفية [50] ، و(الذي) اسم موصول مبني ، ويستعمل للمذكر[51]، وقد جاء تبادل (ما) و الذي في قوله تعالى : **((وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة:145)** ، وقال في السورة نفسها : **((وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نصير))** البقرة (120) .

فقد وجّه الخطيب الإسكافي هذا التبادل إلى التكافؤ الدلالي بين (ما) و (الذي) فمن خصائص (الذي) دخول أسماء الإشارة عليها فتكون الذي صفة لها، ومثلما يدخل عليها اسم الإشارة فإنها تحتاج إلى الصلة بعدها ولا يكون ذلك في (ما) ؛ لأنها لا يوصف بها وأنها تحتاج في سياقها إلى صفة تبينها ، والصفة الثالثة أنّ (الذي) تثنى وتجمع وأنها معرفة بالألف واللام وليس ذلك في (ما) ، وإنما هي لشدة إبهامها خُصّ بها التعجب فكلّما كان مبهما كان أبلغ ، وإن اسم (الذي) في هذا المكان واقعة على (العلم) وهو القرآن الكريم الذي ثبت به الإسلام وصحّ الإيمان وهذا المعنى الأهم والأعلم ووقعت فيه (الذي) أما (ما) فقد وقعت لما قصد به بعض العلم أي بعض آيات القرآن الكريم وهو موضع القبلة التي أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتوجه إليها فعبر عنها باللفظ الأقصر[52].

ولم يشر أصحاب المتشابه ولا المفسرون إلى الإسمية أو الحرفية لـ(ما) في الآية ، وما انتظمت له في السياق من دلالة ، فـ(ما) هي عند سيبويه حرف ودليله على حرفيتها سبكها والفعل مصدرا[53] ، وقد صوب المبرد رأي سيبويه وأوضح أنّ العائد على (ما) في (أعجبني ما صنعته) لم يكن عائداً عليها وإنما عاد على الموصول الذي بمعناها والأصل(أعجبني الذي صنعته) فعاد الضمير على (ما) التي بمعنى (الذي) وليست (ما) [54] وتبعا لرأي سيبويه والمبرد فإن (ما) في الآية هي حرف وليست مقابل الاسم الموصول (الذي) في الدلالة على المعنى ، و قد ألمح الإسكافي إلى حرفيتها في الإشارة إلى معنى الإبهام فيها ، ورأى أن (الذي) أوسع في الدلالة من (ما) بينما هي مقصورة على معنى معين إلى جانب ما تمتلكه (ما) من دلالة على الإبهام اللامتناهي ، وبهذا يكون ما دلت عليه (ما) هو الأعظم والأوسع في وصف القرآن الذي انطوى على المعاني الجمة من أمور الكون والكائنات وأمور الخلق وكيفياته وأمور الآخرة وما انطوى عليه غيبها والعلم به ما هو إلا جزء منها وما مجيء (من) في سياقها إلا دليلا على سعتها[55] ، فالحرف (من) جاء منسجماً مع حرفية (ما) على ما هو واضح وقد دخل على الظرف (بعد) ؛ ليعطي للنص ميزة دلالية ـ تدعو المتلقي للتمعن في الآية الكريمة ومقارنتها مع الآية الأخرى ، وهذه الميزة الدلالية هي سعة تلقي القرآن الكريم وكثرة مجيئه ، لأن (من) رسمت صورة بداية مجيء القرآن الكريم أو آياته كون أن الظرف كان مقيدا بها[56].

- بين (ربهم) و (الرحمن)

جاء وصف القرآن الكريم ببيان جهة نزوله ، ومن ذلك قوله تعالى :((**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**))الأنبياء (2) ، وقوله تعالى : ((**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ**)) الشعراء (5) ، فالآيتان متماثلتان في وصف القرآن الكريم إلا أنَّ التعبير القرآني ذكر في الآية الأولى إنّ الإتيان من جهة (ربهم) ، وفي الثانية من جهة (الرحمن) ، وكلاهما اسمان لله تبارك وتعالى ، وقد ميز الغرناطي بين هذين الاسمين الشريفين والسر في تبادلهما بأنَّ لفظة الرب يعم مجيؤه في الترغيب والترهيب ، لما تقدم على آية الأنبياء من الأخبار ما فيه وعيد وترهيب مع تلطفه سبحانه وتعالى بهم بتذكيرهم فناسب ذلك ذكر الرب ، وإنَّ لفظة (الرحمن) يغلب ورودها حين يشار إلى العفو والإحسان والرفق بالعباد والتلطف والتأنيس لما في آية الشعراء من تأنيس النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وإعلامه أنَّ توقف قومه عن الإيمان ، إنما هو بقدرته تعالى عليهم ، فلما كان كذلك أشار إلى هذا وناسبه اسمه [57] ، أما الكرماني فيرى أنَّ ذلك جاء لمجرد الموافقة اللفظية [58]،

وإنّ هذا الرأي لا يرقى إلى المستوى الكاشف عن الأبعاد الدلالية في النصوص وتركيبها، وإنَّ رأي الغرناطي يتفق مع ما جاءت عليه النصوص في كل آية [59]، وذكر ابن عاشور زيادة على التسلية في هذا التبادل إبراز وصف القرآن الكريم وعظيم شأنه في صلاحه فناسبه :لفظة الرحمن من دون الرب فكان الوصف بالرحمن تشنيعاً لحال المعرضين وتعريضا لغبائهم على أن يُعرضوا عمَّا هو رحمة لهم ، فإذا كانوا لا يدركون صلاحهم فلا ينبغي أن يتأذى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على قوم أضاعوا نفعهم المتمثل بالقرآن الكريم[60] .

- بين (القرآن) و (الحكم).

قال تعالى : ((**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**)) الرعد (37) ، وقال تعالى : ((**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا**)) طه (**113**) ، فقد تماثل التركيبان واختلفا بلفظ (حكماً) في الآية الأولى و (قرءانا) في الآية الثانية ، وللعلماء فيها آراء ، فقد رأى الغرناطي أنَّ هذا الاختلاف ناشئ من اختلاف السياق في كلتا الآيتين فآية سورة الرعد ((لم يتقدم فيها شيء من القصص الإخبارية ، وإنما المتقدم فيها تفاصيل أحكام مرجعها بجملتها إلى اختلاف أحوال المكلفين جريا على ما سبق من قضائه فيهم وتفصيل أحوالهم بحسب ما قدره سبحانه في أزله وما حكم به عليهم كقوله سبحانه : (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الرعد (19) . ثم بين تعالى حكم كل من الفريقين بعد وصفهم ، ثم أعقب بحال الفريقين فقال فيمن هداه فعلم : (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) الرعد (23) إلى قوله : (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد (24) . واتبع بحال الآخرين الموصوفين بنقض عهده سبحانه ، وأخبر بأنَّ لهم اللعنة..... وبين تعالى حكمه في بسط الرزق لمن يشاء وقبضه عمن يشاء فقال تعالى : (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) الرعد (26) ... وكل ما تقدم فهو حكمه السابق في خلقه ، فأعقب هذا بقوله : (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) الرعد (37) .ولما تقدم آية سورة طه قصص موسى (عليه السلام) وما جرى من فتنة قومه بعده من فعل السامري ، وما كان من قول هارون (عليه السلام) وتذكيره إياهم وقول بني إسرائيل : (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) طه (91)، إلى قوله : (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا)طه (99) ، والمراد به القرآن ، ثم أتبع هذا بما يلائمه إلى قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) طه 113، أي : قصصاً مقروءاً بلسان العرب مذكراً من وفق لاعتباره والاتعاظ به : (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) طه (113) . فناسب كل من العبارتين موضعه ، ثم مناسبه))[61].

إن التبادل المقصود بين صفات القرآن الكريم والمراوحة بين هذا الوصف أو ذاك قد عبر عن قيمة دلالية عالية في الأداء ، تمنح المتلقي المجال للتفكر في هذا التبادل المقصود ، ثم إنَّ هذا الوصف كان مشفوعاً بأسلوب الحوار الجاري بين الله تعالى ونبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهو حوار يعزز من الوصف القرآني بتسلية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتوجيه الخطاب له بأنَّ الله أنزله قرآنا وأنزله حكما ، وكلاهما وصف واحد حمل طابعاً موحداً وهو صفة العربية التي نزل بها النص المقدس .

- بين (أنزل) و(ألقي) .

وُصِف القرآن الكريم في كثير من الآيات بصفتي (الإنزال) و(الإلقاء) وهما صفتان تخصان طبيعة نزوله وقد بين الراغب الأصفهاني أن النزول هو الانحطاط من العلو ، وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق وإعطاؤهم إياها ؛ أما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن وأما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك ، قال تعالى : ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**)) الكهف (1) [62] ، وأما الإلقاء فيستعمل في القول والسلام والكلام يقال ألقيت إليك قولا وسلاما ، وكلاما ، ومودة (63) قال تعالى : ((**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**)) المزمل (5) .

وقد خص الكرماني صفة (الإنزال) بغير ما هو مكتوب ، وصفة (الإلقاء) بما هو مكتوب[64] ، وأن قول الكرماني مردود بقوله تعالى : ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**)) الكهف (1) ، وغيرها من الآيات ؛ لأن الكتاب بمعنى المكتوب في قرطاس أي في ورق [65] ، فجاء الإنزال مسندا إلى ما هو مكتوب ، ولكن يمكن أن يقال إن صفة (الإنزال) تستعمل في غير المكتوب في الغالب ، وصفة (الإلقاء) يمكن أن تستعمل في المكتوب في الغالب أيضا[66]، ولا نرشح صفة منها على جانب معين بصورة قطعية.

وأرى أن استعمال كل من الفعلين (أنزل) و(ألقي) لها ما يسوغها في السياق فلم ترد هكذا جزافا، ويبدو أن توجيه الراغب الأصفهاني لمجيء هذين الفعلين هو الاقرب الى الصواب ، لما تؤيده الآيات الكريمة والسياق التي ترد فيه. ففي آية الكهف كان إنزال القرآن الكريم إنزالا عاما يتناسب مع وصف القرآن بأنه كتاب، فهو الكتابَ الكاملَ الغنيَّ عن الوصف بالكمال المعروفِ بذلك من بين الكتبِ، الحقيقَ باختصاص اسمِ الكتابِ به ، وهو عبارةٌ عن جميع القرآنِ أو عن جميع المُنْزَل [67] ، أما فعل الإلقاء وهو رمي الشيء[68] فجاء مناسبا مع القول الثقيل وهو ((القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين ، وخاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته؛ فهي أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض : أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن)) [69]وقد استعير فعل الإلقاء في هذه الآية للإبلاغ في القرآن الكريم دفعة على غير ترقب [70] .

وقد ظهر الوصف القرآني بهذا التناسب بمجيء فعل الإلقاء مع ثقل القول وهو ((ثقل مجازي لا محالة ، مستعار لصعوبة حفظه لاشتماله على معان ليست من معتاد ما يجول في مدارك قومه فيكون حفظ ذلك القول عسيراً على الرسول الأمّي تنوء الطاقة عن تلقّيه)) [71] ، ومن هنا تتضح الدقة الفائقة في اختيار الكلمات القرآنية والتعبير بها عن وصف القرآن الكريم ، مما يعني التمكن الدلالي المتولد من هذه الألفاظ ، بالتأثير في المتلقي الذي يعي المقصود من هذه الكلمات في كل من هذه التراكيب.

المبحث الثالث

التمكّن الدلالي في تحوّلات وتوارد الصفات الجملة الواصفة للقرآن

يرتبط التمكن الدلالي ارتباطاً وثيقاً بالتحول عن النمط المألوف في بناء الجملة والانتقال بها إلى خطاب فعال يؤثر في المتلقي ، ويعتمد التحول في بناء الجملة على بنيتين لغويتين هما: بنية الأصل وبنية التحوّل التي تقاس بالأصل ، إذ للغة مستويان ؛ الأول : مستواها المثالي في الأداء والثاني : مستواها الإبداعي الذي يعتمد اختراق هذه المثاليّة [72] وصولاً إلى الأدبيّة التي تعتمد طرح المألوف من تركيب الجملة ، وهذه الفكرة هي التي طرحتها النظرية التوليدية ـ التحويلية ، التي تقوم على فكرة (البنية السطحية والبنية العميقة) وهي نظرية العالم اللغوي (جومسكي) الذي يرى أن البنية العميقة تتمثل في الصورة الذهنية المتشكلة في عقل المتكلم والسامع ، وهي أشبه بالقدرة أو الملكة الأساس لفهم الكلام وتفسيره ، وقد استمد هذه ((الفكرة من الفطرة اللغوية في ذهن الإنسان)) [73] ، وهي تقترب من فهم النحاة والبلاغيين للأصل والعدول عنه في تركيب الجملة العربية ، [74] فهناك أصل للتركيب وعدول عنه لغاية بلاغية ودلالية عن طريق العمليات التحويلية والتوليدية ((أي أن انتاج التراكيب يتم على أساس أن الأصل يمثل عملية مخاض دائم تتيح للمبدع قدرا غير محدود لأجل توليد أشكال تعبيرية متمايزة على مستوى السطح أو مستوى العمق)) [75] ومن ثم ذهب بعض المحدثين إلى أن التحولات الموجودة في الجملة العربية من الحذف والتقديم والتأخير وغيرها تمثل في الحقيقة تحولا شكليا مصاحبا لتحول عميق في تركيب الجملة ، ومن ثم دلالتها [76].

ومما لا شك فيه انَّ التحوّل في تركيب الجملة القرآنية يؤسَّس على قصدٍ واعٍ من الاستعمال ترتفع فيه درجة الإحساس والشُّعور ؛ لأنَّ الكلمة في نظام الجملة القرآنية تخضع لقصدٍ يمتدّ حتى اصغر اشتقاق للمادة القرآنيّة[77]،حتى غدا التحوّل احد أنظمته في الإعجاز ، وسيقف البحث عند بعض التحوّلات التي وردت في تركيب الجملة الواصفة للقرآن الكريم ويبين دلالتها ، ومن هذه التحولات التي يقف عندها هي: التحول بالحذف والتحول بالتقديم والتأخير والتحول بالوصف بالمصدر الواقع حالا ، والتحول بتوارد الصفات في تركيب الآية الواصفة للقرآن الكريم.

ـ التّحول بالحذف .

الحذف هو إسقاط اللفظ لمصلحة المعنى ، فالمعنى هو الذي يستدعي الحذف وهو((إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل))[78]، والدّليل إمّا أن يكون مقالياً أو حالياً، قال المبرّد : ((و لا يجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلوماً بما يدلّ عليه من متقدّم خبر أو مشاهدة حال))[79]، والحذف بلا دليل : ((ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))[80].

وقد اعتنى النحويون والبلاغيّون بظاهرة الحذف بدءاً بسيبويه ، إذ تحدث في كتابه عن ما يكون في اللّفظ من الأعراض والاستقامة في الكلام [81] ، كذلك تناول الحديث عنها أبو زكريا الفرَّاء في كتابه (معاني القرآن)[82] ، وأفرد لها أبو الفتح عثمان بن جنّي باباً مستقلاً في خصائصه أسمّاه (باب في شجاعة العربية)[83]، أما الشيخ عبد القاهر الجرجاني فقد وصف الحذف بأنَّه ((بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيه بالسّحرِ فإنَّك ترى به ترك الذِكْر أفصحَ من الذكر والصّمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن)) [84] ، ويكون التحول بالحذف من الظواهر النحوية المهمة التي تكشف عن تمكن الدلالة وإيصالها إلى ذهن المتلقي بكسر النمط المألوف في بناء الجملة.

وقد قام البحث بالنظر إلى الآيات التي تصف القرآن الكريم ، فوجد ان جزءا نحويا قد سقط منها لفائدة مرجوة منه لتمكنها دلاليا ، و العناصر النحوية التي حذفت كثيرة منها (المبتدأ ، والخبر ، والمفعول به او عامله ، او عامل المفعول المطلق ،وحذف جزء من جملة القسم ، او الشرط ، وغيرها) وسيقف البحث على مجموعة من الآيات القرآنية الواصفة للقرآن الكريم التي حصل فيها حذف ، ليبين التحول الذي حصل وتمكنه من دلالته إلى ذهن المتلقي في وجوب الإيمان بالقرآن الكريم ، وتصديق ما جاء به .

حذف المبتدأ

وقد وقع حذف المبتدأ في الآيات التي تصف القرآن الكريم كثيرا [85] ، من ذلك قوله تعالى: ((**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ**)) البقرة (147).

إذ يظهر الوصف القرآني بالانزياح النحوي الذي اعترى الجملة الإسمية بحذف المبتدأ، ليذهب المتلقي في تقديره مذاهب شتى فيختار اللفظ الذي يتناسب مع القرآن الكريم فيجعله مبتدأ ، وبه يتم وصف القرآن الكريم ، وقدره بعض المفسرين بأنه ضمير الغائب (هو) [86] فيكون هذا الضمير هو المبتدأ الذي حُذف لدلالة السياق عليه لأن الذكر والحذف يكون بدلالة السياق ، وهذه فكرة لم يتفرد بها المفسرون بل اعتاد النحاة على تقصي شروطها وأسبابها قال ابن يعيش : ((اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعها فالمبتدأ معتمد الفائدة والخبر محل الفائدة فلابد منهما إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق بأحدهما فيحذف لدلالتها عليه لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى حكماً فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لا تأتي به ويكون مراداً حكماً وتقديراً))[87].

وذكر الآلوسي أنَّ المبتدأ المحذوف اسم إشارة تقديره (هذا) ، فيكون شكل الجملة (هذا الحق) ، وتقدير الالوسي يبتعد عن الصواب اللغوي في اعتقادنا ؛ لأنَّ (الحق) سيكون بدلا من اسم الإشارة وعندها لا يتم معنى الجملة ، ويصبح التقدير عبثاً لا فائدة فيه، وهناك آراء أخرى وردت عن النحاة في هذه الآية وهي على سبيل المثال ما جاء عن أبي جعفر النحاس أن ما بعدها من الجار والمجرور(من ربك) هو الخبر [88]ووافقه آخرون[89] ، وهذا التقدير لا يختلف عن سابقه ايضا فلو زعمنا أنها مبتدأ وشبه الجملة خبر لها ، فإنه تبقى الجملة ناقصة يشوبها شيء من إعادة النظر ، لأن من النحاة لا يرتضي ان تكون شبه الجملة خبرا ، والذين قدروا المبتدأ محذوف كان عندهم تقديره (هو) ، ورأى أبو إسحاق الثعلبي (ت 427 هـ) أن (الحق) فاعل لفعل محذوف أي (جاءك الحق) [90] وهذا التقدير أكثر بعدا من التقدير المذكور آنفا ونعتقد ان المعنى لا يستقيم حينها أي حين نعني بها (جاءك الحق) فإن السياق يفقد سمة الترابط فيكون هذا التقدير يسعى لاستقامة القاعدة النحوية؛ لآن الآية موضع الشاهد قد سبقتها آية تدل على معنى

الابتداء المضمر وهي في قوله تعالى: ((**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**)) البقرة (146).

وبذلك لا بد من القول بحذف المبتدأ[91]، فيكون لتقديره بدلالة السياق أهمية كبيرة لإظهار المعنى المقصود من الوصف القرآني ليجعل المتلقي في انشغال دائم لملء الفراغ الذي تركه المبتدأ ويعطي فرصه كافية له ليعيد تشكيل البنى النحوية على وفق معطياته المسبقة،أو ارثه الثقافي في التقدير،ومن هنا يتبين دقة الحذف في هذه الآية الواصفة الذي جعل دلالة الاطمئنان [92] تظهر جلية في الحذف لينسجم مع دقة الوصف للقرآن الكريم.

ومنه أيضا قوله تعالى : ((**كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**)) الأعراف(2) ، فقد حذف المبتدأ في هذه الآية الكريمة الواصفة للقرآن الكريم ، وإنما حذف ؛ ليذهب الذهن في تقديره أيما مذهب، ومن هذا التقدير تتضح القيمة الدلالية في وصف القرآن الكريم ، فيبقى المتلقي يعيد ما فات من أركان الجملة ، ويقدر ما يلائم الوصف القرآني ؛ ليحصل على عناصر لغوية ذات دلالة مقصودة في الوصف التي قد تكون التخصيص مثلا ، وهذا ما صنعه المفسرون حين قدروا المبتدأ المحذوف ضميراً تقديره (هو) [93] ، أو اسم إشارة تقديره (هذا) [94] وإنما قدروا الضمير ؛ لكي يكون القصد منه التعظيم ((أي هو كتاب عظيم تنويهاً بشأنه)) [95] ، وهذا متأت من الخصائص التي يحملها الضمير في نفسه فهو يدل على التعظيم والتفخيم[96] .

وأما تقدير اسم الإشارة (هذا) فيدل على تنزيل القرآن الكريم منزلة صانعه ومنشئه ، وهذا عين الوصف للقرآن الكريم ، قال أبو السعود، (ت951ه): ((أشير به إليه تنزيلاً لحضور المؤلَّفِ منه منزلةَ حضورِ نفسِ المؤلّف))[97] ، وسواء كان التقدير ضميراً أم اسم إشارة ، فإنه يدل على عظيم وصف القرآن الكريم ، وهذا ما ينسجم مع مجيء الخبر وهو (كتاب) الذي جاء منكراً و((أريد بالتّنكير التعجيب من شأن هذا الكتاب في جميع ما حفّ به من البلاغة والفصاحة والإعجاز والإرشاد ، وكونه نازلاً على رجل أمّيّ)) [98].

وبهذا تتم الدائرة الدلالية المتكونة من المبتدأ المقدر مع الخبر النكرة ؛ ليؤديا غاية الوصف القرآني في إنزال الكتاب على قلب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لينذر به الكافرين ، ويذكر به المؤمنين.

حذف الخبر

الخبر وهو المسند في الجملة الاسميّة[99] ، وبه يتمّ الكلام ، وتتحصل الفائدة[100] ، فوجوده ضروري في الجملة ، لأنّ المبتدأ لا بد له من خبر ، وعلى الرّغم من هذه الفائدة التي يؤدّيها الخبر فإنّه قد يُحْذف من الكلام إذا دلَّ عليه دليل مع صحّة المعنى[101]، وقد وقع حذف الخبر في ثلاثة مواضع من الايات الواصفة للقرآن الكريم [102] ، من ذلك قوله تعالى ((**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**)) البقرة(2). إذ حذف خبر لا النافية للجنس لكونه معلوماً لدى السامع ، وقد ذكر النحاة وجوب الذكر ووجوب الحذف لخبر (لا) النافية للجنس ، وهو الاعتماد على علم المتلقي ، فيجب ذكر خبرها إن لم يكن معلوماً[103]، وإن عُلم جاز حذفه عند الحجازيين، والتزم الحذف عند بني تميم[104]، وقد حذف الخبر في هذا الموضع وقدره المفسرون بـ(موجود) أو (كائن) أو غير ذلك ، وعليه يكون الجار والمجرور (فيه) صفة لـ(ريب) [105] ، وقد أدى حذف الخبر قيمة دلالية لوصف القرآن الكريم ؛ لكونه معلوماً لدى المتلقي الإيجابي وهو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون ، وهذه القيمة الدلالية هي إرادة نفي الريب عن القرآن الكريم أو ((نفيُ الكونِ المطلق وسلبُه عن الريب المفروضِ في الكتاب))[106]،إذ لا يوجد ريب في هذا القرآن على الإطلاق ، ومن هنا يتبين الغرض من حذف خبر (لا) فـ((ذكر خبر (لا) النافية للجنس يعتمد على قصد المتكلّم فإنْ أراد المتكلّم نفياً مقيداً فأنّه يذكر الخبر .... وإنْ أراد نفياً مطلقاً تركه))[107]؛ لأن الباري أراد هذا المعنى في وصف القرآن الكريم.

حذف عامل المفعول المطلق

قد يحذف عامل المفعول المطلق ، فتبقى علاقة التخصيص ، لأنها تتم بوجود المفعول المطلق لا بعامله، وإنَّ الأصل في المفعول المطلق - المُبيِّن للنوع أو العدد- أن يُذكر عامله ، وقد يُحذف جوازاً أو وجوباً ؛ فالجواز بشرط أن يدلّ عليه دليل ، والدّليل نوعان : أحدهما مقالي، كأن يُقال: (ما جلست ، فتقول : بلى جلوساً طويلاً)، وهو(ما جلست) . والآخر حالي ، كقولك لمن قَدِم من سفر : (قدوماً مباركاً) ، أي: (قدمت قدوماً مباركاً) ، فحُذف الفعل جوازاً لدلالة الحال عليه [108]. أمّا حذفه وجوباً ففي مواطن معيّنة ، بسط النّحويون القول فيها[109] ، وقد وقع حذف عامل المفعول المطلق في موضعين من الآيات الواصفة للقرآن الكريم[110] ، قال تعالى : ((**تَنزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلاَ**)) طه (4) ، فقد وصف الله سبحانه كتابه الكريم بالمفعول المطلق (تنزيلاً) المؤكد لعامله[111] ، وهنا يمتنع حذف العامل عند النحاة قال ابن عقيل : ((المصدر المؤكد لا يجوز حذف عامله ، لأنه مسوق لتقرير عامله وتقويته والحذف مناف لذلك)) [112] وقد بين أبو السعود أن حذف عامل المفعول المطلق المؤكد يجوز حذفه هنا؛ لأن العامل المحذوف مستأنفٌ مقرّر لما قبله ، أي نُزّل تنزيلاً أو لما تفيده الجملةُ الاستئنافيةُ في قوله تعالى (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) (طـه2 ، 3)فإنها متضمّنةٌ لأن يقال : أنزلناه للتذكرة. [113] فهو على هذا محذوف لوضوحه ،ولدلالة ما تقدم عليه ، فلا إشكال في حذفه ، فيكون تقديره ((نزل (تنزيلاً ممن خلق))) [114] ليدل دلالة مطلقة على نزول هذا الكتاب العظيم من لدنه سبحانه وتعالى .

ومهما يكن من أمر فإنَّ حذف عامل المفعول المطلق له دلالته الكبيرة في تأكيد وصف القرآن الكريم ، فالحذف يجعل المتلقي يلقي نظره وتفكيره على المفعول المطلق وما يدل عليه من دلالات جمة في الوصف ، فهو يدل على الحدث مطلقاً ولذلك جرد من القيود ، يقول الدكتور مصطفى جواد أنَّ المفعول المطلق سميَ كذلك ؛ ((لأنَّ المفاعيل السابقة له مقيَّدة بصلات ، فالأول مقيَّد بـ(به)،والثاني مقيَّد بـ(فيه) ، والثالث مقيَّد بـ(لأجله او له) ، والرابع مقيّد بـ(معه)،وهو خالٍ من القيد او الصلة ، وذلك إنَّ معناه أنّه هو المفعول الحقيقي ، وهو تصريح من النّحاة بهذه المفعوليّة الحقيقيّة))[115] ، وهذا الإطلاق ينسجم مع الإطلاق في حذف العامل له ، ليخرج الإثنان بنتيجة كبرى لوصف القرآن الكريم ، بكونه نزل تنزيلا عظيماً من لدن الله تبارك وتعالى .

حذف جملة جواب الشرط.

جملة (جواب الشرط) تقابل الجزاء ، وكان ابن جني أوّل من استعمل هذا المصطلح [116] ، وقد تحذف جملة جواب الشرط جوازا ، ولا خلاف بين النحاة فيه إن علم المخاطب بها أو وجد الدليل عليها [117] ، ولا شك في أن لذلك فوائد ذكر النحاة منها التعظيم والتفخيم [118] ؛ لأن ((حذف الجواب أبلغ في المعنى من إظهاره))[119] ، وفيه تظهر دلالة الإطلاق وعدم التحديد.

وجاء حذف جملة جواب الشرط في ثلاثة مواضع من الآيات التي تصف القرآن الكريم [120] منها قوله تعالى : ((**وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً**)) الرعد (31) فجواب الشرط بـ(لو) محذوف تقديره عند بعض النحاة (لكان هذا القرآن) [121] بناء على ورود لفظه في جملة الشرط ، قال الزمخشري (((وَلَوْ أَنَّ قُرْاناً) جوابه محذوف، كما تقول لغلامك : لو أني قمت إليك ، وتترك الجواب والمعنى: ولو أن قرآنا (سُيِّرَتْ بِهِ الجبال) عن مقارّها، وزعزعت عن مضاجعها (أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرض) حتى تتصدع وتتزايل قطعاً (أَوْ كُلِّمَ بِهِ الموتى) فتسمع وتجيب، لكان هذا القرآن الكريم لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف))[122]، وهذا من بديع الحذف الذي يصب في مصلحة وصف القرآن الكريم ؛ لأنه جعل الوصف مطلقاً وليس محدداً ، فحذف جواب الشرط دال على الغاية القصوى التي من أجلها جاء القرآن الكريم ، ومن هنا يرى الباقلاني (ت403هـ) أن ((الحذف أبلغ من الذكر ؛ لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب)) [123]،وهنا يأتي أثر المتلقي بانشداده نحو النص من أجل إفهامه بعد وضعه في حيرة ؛ ليكون عنصراً مهماً عن طريق تفاعله معه[124].

وقال تعالى : ((**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)) الأحقاف (10).

لقد اعتمدت الآية الكريمة على حذف جواب الشرط ، قال الزمخشري : ((جواب الشرط محذوف تقديره : إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين . ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى : (إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين)))[125]. وإلى هذا المعنى ذهبت طائفة من المفسرين [126] ، وهكذا يلتئم شمل النص في تقدير جواب الشرط المحذوف ، ويتم تقديره من المتلقي ولهذا يرتد في المستوى العميق إلى التقدير فيكون : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ إنه من الله (فَآمَنَ الشاهد) وَاسْتَكْبَرْتُمْ ألستم ظالمين) ، والملاحظ هنا أن بنية السطح كانت مؤشر انتاج جواب الشرط في بنية العمق وهي قوله تعالى : ((**إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين**)) [127] .

حَذْفُ جملة القَسَم.

ذهبَ سيبويه إلى جوازِ حذفِ جملةِ القَسَمِ المُرَكَّبةِ من: فعل القسم ، وحرفِهِ ، والمُقسَمِ به، ويبقى المُقسَمُ عليهِ دليلاً على القَسَمِ المحذوف [128]، وعُلِّلَ ذلكَ بأَنَّهُ ((لمَّا كانَ القَسَمُ مُستَطالاً لِتَضمُّنِهِ جُملَتَيْنِ كَثُرَ تخفيفُهُ : تارةً بِحَذفِ الجملةِ الأُولى . وتارةً بِحَذفِ الجملةِ الثانية))[129]، ويُسَمَّى القَسَمُ المحذوفُ جملةُ قَسَمِهِ بالقَسَمِ المُقَدَّر[130]، ومن مواضع حذف جملة القسم بحسب ما جاءت في الآيات الواصفة للقرآن الكريم هي :

تُحذَفُ جملةُ القَسَمِ إذا كانَ المُقسَمُ عليه فِعلاً ماضيًا مسبوقًا بـ(اللام) وتسمى (اللام الموطئة لجواب القسم) [131] أو(لامَ) اليمين[132]، أو(اللامَ) المؤذِنةَ[133]، وهي لامٌ مفتوحَةٌ يؤكَّدُ بها طَلَبُ القَسَمِ لِجوابِهِ[134] ، فإنْ كانَ الفعلُ ماضيًا مُثبَتًا مُتَصرِّفًا، فالأَولى الجمعُ بين (اللام وقد) ؛ لأَنَّ كثيرًا ما تُحذَفُ جملةُ القَسَمِ إذا كانَ المُقسَمُ عليهِ مسبوقًا بـ(لقد)[135] ، وقد وقع هذا النمط في ثمانية عشر موضعا[136]،من الآيات الواصفة للقرآن، ففي قوله تعالى: ((**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ**))البقرة (99)نجد ان جوابِ القَسَمِ (لقد أنزلنا إليكم آيات بينات)دلَّتْ على جُملةِ القَسَمِ المحذوفةِ التي تقديرُها: (واللهِ)،أي : واللهِ لقد أنزلنا إليكم آيات بينات[137]، وإنَّ مجيء أداة القسم وهي(اللام) في (لقد)دليل على أن الجملة المقترنة بها جملة قسم جاءت لتوكيد مضمون جملة المقسم عليه التي هي جوابها، ولا يخفى أن(اللام)دالة على التوكيد ينضاف إلى ذلك عنصر توكيدي آخر هو(قد)التي تدل على تحقيق وقوع الإتيان عند سماع المخاطب لصيغة القسم[138]؛ لأن(لام القسم)لما لها من شدّة التوكيد والتحقق لمضمون الجملة، فيقدّر ما قبلها بقسم محذوف[139]، لذا يرى النحويون ضرورة اقتران(اللام)بـ(قد) عند تصدر الجملة الفعلية الماضية أداة التحقيق(قد)،فالأولى دخول(اللام)عليها للتنبيه على أن الجملة بعدها هي جملة قسمية،قال الرضي الاسترابادي: ((وإن كان الفعل ماضياً مثبتاً، فالأولى الجمع بين اللام و(قد)))[140]،فالمؤكدات القسم المحذوف و(اللام الموطئة للقسم)و(قد) في الآية المباركة قد أفادت توكيد وصف القرآن الكريم،بأنه(آيات بينات) والمراد بها القرآن الكريم[141]،وسميت بينات لأنها واضحات الدلالة[142]وإنما حذفت جملة القسم؛ لوضوحها ودلالة السياق عليها وقد أكد الرضي الاسترابادي على أنَّ جملةَ القَسَمِ المحذوفةَ كالملفوظ بها مع اللامِ المُوطِّئةِ أو من دونها[143]،ومن ثم جيء للدلالة على تثبيت وصف القرآن الكريم وترسيخه في ذهن المتلقي.

وقال تعالى : ((**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)) الأعراف (52) ، استعملت الآية الكريمة (اللام الموطئة للقسم) مع (قد) التي تفيد التحقيق والتوكيد ، وجيء بالقسم محذوفا لدلالة اللام عليه ، وتقديره : (واللهِ) ، والقسم يفيد التأكيد و ترسيخ الدلالة وهو ما يتعاضد مع (اللام الموطئة) أو (قد) ، لتزيد من دلالة تأكيد وصف ، القرآن الكريم ويرى علماء المعاني أن التوكيد يأتي لغرض إزالة الشك عن المتلقي، فإن كان شاكاً في الخبر جيء بمؤكد أو أكثر، أو وجب توكيده بالقسم بمعنى أن التوكيد متأتٍ بحسب الإنكار ((لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره))[144]، وهو يتفاوت قوة وضعفاً[145]، ونراه في هذه الآية جاء قويا لاجتماع ثلاثة مؤكدات في آية واحدة .

والمقصود بالكتاب هنا القرآن الكريم[146] ودلالة القسم هنا ((تأكيد لفعل (جئناهم بكتاب) وهو بلوغ الكتاب إليهم فيكون التأكيد خارجاً على خلاف مقتضى الظاهر ، بتنزيل المبلَّغ إليهم منزلة من ينكر بلوغ الكتاب إليهم ، لأنّهم في إعراضهم عن النّظر والتّدبر في شأنه بمنزلة من لم يبلغه الكتاب))[147] ، وتأكيد خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر كان سبباً بلاغياً يضيف حلة دلالية إلى رصيد وصف القرآن الكريم بالتنكير وصفة التفصيل والتبيين .

ومنها قوله تعالى : ((**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**)) (الإسراء88) ، هذه الآية دلت على وصف عظيم للقرآن بأنه من صنع الله تبارك وتعالى ، فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ،

لإعجازه في بلاغته وحسن نظمه ، وكونه خارجاً عن المألوف من كلام البشر ، وتستعمل الآية أسلوب القسم زيادة في تأكيد ذلك الوصف ، وجاء القسم باللام الموطئة للقسم في (لئن) وقد دلَّتْ على القَسَمِ المحذوف ، قال الرضيُّ: ((فإنْ حُذِفَ القَسَمُ وقُدِّرَ، فالأكثَرُ: المجيءُ باللامِ المُوطِّئةِ، تنبيهًا على القَسَمِ المُقَدَّرِ من أوَّلِ الأمر))[148] ، وتقديره : والله أو غيرها من الأقسام لئن اجتمعت الإنس والجن....إلخ ، وإنما جاءت بالقسم محذوفاً ؛ ليعطي مبالغة في التأكيد على ربانية القرآن وكونه من صنع الباري عز وجل ، ولتكون جملة القسم المحذوفة مطلقة غير محددة بشيء ، وقد اجتَمَعَ القَسَمُ مُقَدَّمًا مع الشرط بـ(إنْ) ، (لا يأتون بمثله) جملةُ جوابِ القَسَمِ ؛ ((لِشِدَّةِ الاعتناءِ بالمُتَقدِّم))[149]، فالنحاة القدماء وضعوا لنا قاعدة لاجتماع الشرط والقسم وهذه القاعدة تنص على أن الجواب للمتقدم ، فان كان المتقدم شرطاً فالجواب للشرط ، وإن كان قسماً فالجواب للقسم، يقول سيبويه: ((فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلا أن يكون عليه . ألا ترى أنك تقول: لئن أتيتني لا أفعل ذاك ، لأنها لام قسم . ولا يحسن في الكلام لئن تأتي لا أفعل؛ لأن الآخر لا يكون جزماً))[150] فالتعبير الشرطي المقترن بالقسم يكون جواباً للقسم لا للشرط ، وعليه يكون جوابُ الشَّرطِ في هذه الآية محذوفا ؛ لِدلالةِ جوابِ القَسَمِ عليه، ولِمَجيءِ فعلِهِ ماضيًا لفظًا[151]. قال الزمخشري(((لاَ يَأْتُونَ) جواب قسم محذوفاً ، ولولا اللام الموطئة ، لجاز أن يكون جواباً للشرط .....لأن الشرط وقع ماضياً ، أي : لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه ، وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله)) [152] .

فجملة جواب القسم دلت على وصف القرآن الكريم بانتفاء مقدرة البشر على الإتيان بالقرآن الكريم، و جملة جوابِ القَسَمِ (لا يأتون بمثله) تدل على الاستِقبالُ ؛ لأَنَّهُ ((إذا أغنَى جوابُ القَسَمِ عن جوابِ الشرطِ لَزِمَ أَنْ يكونَ جوابُ القَسَمِ مُستقبلاً؛ لأَنَّهُ مُغْنٍ عنْ مُستقبلٍ ودالٌّ عليه))[153]، فهم لا يستطيعون الإتيان بمثل القرآن الكريم أو كتاب يشبهه مستقبلاً مهما كانت إمكاناتهم ،وقابلياتهم ، وقد تمكنت الآية الواصفة للقرآن الكريم دلاليا في جعل القسم مقدما على الشرط ليكون الجواب للقسم لا للشرط والذي سوغ ذلك هي اللام الموطئة ، التي منعت الشرط ان يأخذ الجواب من القسم لما في القسم من قوة في المعنى ، وهذا غاية الوصف بكون القرآن الكريم محصناً من كل تلاعب أو تحريف.

حذف جملةُ جوابِ القَسم.

ذكرَ النحويون مواضعَ تُحذَفُ فيها جملةُ جواب القَسَمِ وجوبا وجوازا ، لِوجودِ دليلٍ يدُلُّ عليها[154]، وجاء حذف جملة جواب القسم في موضعين من الآيات الواصفة للقرآن[155] منها قوله تعالى : ((**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الذين كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**)) ص(1، 2) ، فاختلف النحاة في جملة جواب القسم في هذه الآية الكريمة التي وصفت القرآن الكريم بأنه صاحب الشرف وصاحب البيان الذي يؤدي إلى الحق و يهدي إلى الرشد [156] ، فذهب الكوفيون الى أنَّ جواب القسم متأخر في آية لاحقة ، وهو قوله تعالى : ((**إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النارِ**)) ص (64)[157] ، وقد خطأ الفراء هذا الرأي قائلا : ((وذلك كلام قد تأخّر تأخُّراً كثيراً عن قوله (والقرآن) وجرت بينهما قِصص مختلِفة، فلا نَجد ذلكَ مُستقيماً فى العربيَّة)) [158] ومن ثم تكون جملة جواب القسم محذوفة دلَّ عليها الكلامُ الذي اكتَنَفَ القَسَم، والتقدير: إنه لكلام معجز [159].

ويميل الباحث إلى أن حذف جملة جواب القسم جاء ليؤدي دلالة الإطلاق في وصف القرآن الكريم والتأكيد بأنه معجز ، لأنه لا يتقيد بدلالة محدودة ، بل يأتي عاما مطلقاً ، قال الرماني : ((وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان)) [160] .

وقال تعالى : ((**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ* بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**)) ق(1-2) فالآية الكريمة اشتملت على قيمة نحوية دلالية تمثلت في حذف جملة جواب القسم الذي يدل عليه ما بعده [161] وقد اختلف المفسرون في تقديره ، فقيل : ((محذوف يشعر به الكلام كأنه قيل : والقرآن المجيد إنا أنزلناه لتنذر به الناس)) [162] ، ، وقال الأخفش والمبرد . والزجاج : إنَّ تقديره (لتبعثن)[163] ، وقدره أبو حيان الأندلسي بـ(جئتهم منذراً بالبعث) ، وقيل : هو إنك لمنذر؛ وقيل : ما ردوا أمرك بحجة [164] وأرى أن التقدير الأول أولى ؛ لما يدل عليه سياق القسم الذي جاء منسجما مع وصف القرآن الكريم والقسم به ، وإنما جاء الحذف في جملة جواب القسم ، كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتنذر به الناس ، فلم يكن بالإمكان وضع جواب مقدر واحد بل فيه احتمالات كثيرة (إنا أنزلناه لتنذر به الناس) أو (إنك جئتهم لتنذر به الناس) ، وهنا تبدو الوظيفة الدلالية لحذف جواب القسم ؛ لأنه يفضي إلى ((بعث النفس على التفكير لتهتدي إلى الجواب وتظل النفس تتبع هذه الآيات يتلو بعضها بعضا تستوحي منها هذا الجواب الذي لابد أن يكون شيئا عظيما يقسم عليه الله)) [165] ، فتعدد قراءة النص الكريم تفتح آفاقا رحبة للفكر يتم فيها تأويل الوجه الأقرب إلى السياق ، وهنا تبرز ملامح الدلالة في وصف القرآن الكريم وتلونها .

- التحول بالتقديم والتأخير :

تعد ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة العربية من الظواهر المهمة التي حظيت بعناية كبيرة من لدن النحويين العرب ، وقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى هذا التحول النحوي بوسمه بالحسن تارة ؛ وأخرى بالقبح[166]، بسبب تمكن صانعه من عدمه، ثم كرر تلميذه سيبويه بما يرى في التقديم عناية واهتماماً تدعو إلى تقديم الأهم وتأخير المهم [167] .

وقد أولع البلاغيون بهذه الظاهرة أيضاً وفي مقدمتهم الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، إذ وصفها بكثرة الفوائد وسعة التصرف وبعد الغاية ، وكذلك بين الأبعاد النفسية والنكت واللطائف البلاغية لها [168] وكذلك صنع ابن الأثير(ت637هـ) وابن الزملكاني(ت651هـ) والفخر الرازي والعلوي وصولا إلى السكاكي والخطيب القزويني[169] ، ويتميز هذا التحول النحوي في خرق النمط المعياري للجملة مما يكسبها الميزة والتفرد في الخروج عن القالب المعياري الذي يلتزم ما هو أصولي ، ومن ثم يظهر التمكن الدلالي الناشئ عن هذا التحول، فنظام الجملة العربيةُ يتألف من المسند والمسند إليه ، بحدود و ضوابط ، فالخبر لا يتقدَّم على المبتدأ ، والفاعل لا يتقدَّم على الفعل إلّا في أحوال خاصَّة يقتضيها أسلوب الكلام.

وقد عني المحدثون من النحويين والبلاغيين بهذه الظاهرة أيضاً ؛ لأنَّها تعدُّ مبحثاً مهماً من مباحث دراسة تركيب الجملة وترتيب عناصرها وتمكنها في دلالتها [170].

- تقديم المبتدأ :

ذكر سيبويه أنَّ تقديم المبتدأ هو الأصل في اللغة العربية ، فموقعه أن يتقدَّم على الخبر في الجملة [171] ، وإنما يأتي تقديم (المبتدأ) أحياناً مُفْعَماً بالدّلالات ، ذلك أنّ تقديمه يُعدُّ من المسائل ((التي يستحسن بالمتكلم مراعاة جوانبها لتجد طريقها إلى نفس السَّامع ، ليتمَّ تهيئة الذهن وقبولها قبولاً حسناً. إذ كلما ابتدأ الكلام بما يسرُّ النفس ويشرح الصدر كان أكثر وقعاً وأكثر تمكناً في النفس))[172]، وقد ورد تقديم المبتدأ في كثير من الآيات الواصفة للقرآن الكريم ، فمن ذلك قوله تعالى : ((**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**)) الأنعام (155) ، فقد جاء المبتدأ (هذا) وهو اسم الإشارة مقدَّماً على الخبر (كتاب) لأجل تمكين الخبر - وهو وصف القرآن الكريم - في ذهن السامع [173] ، أي أنَّ القرآن (كِتَابٌ) عظيمُ الشأنِ لا يقادَر قدْرُه[174] ، وإنَّ الأصل في أسماء الإشارة أن يشار بها إلى الأشياء المشاهدة المحسوسة، [175] ، وقد وصف القرآن الكريم بوصف محسوس بكونه كتابا ، وإنما جاء اسم الإشارة مبتدأ ليعرف القرآن الكريم بوصفه ، لتمكن أسماء الإشارة في الدلالة ، فهي كالضمير من هذه الجهة قال سيبويه : ((وقد يكون هذا وصواحبه بمنزلة هو ، يعرّف به، تقول: هذا عبد الله فاعرفه، إلا أن هذا ليس علامة للمضمر، ولكنك أردت أن تعرّف شيئاً بحضرتك)) [176] ، ومن ثم جاء اسم الإشارة (هذا) لتعريف القرآن الكريم بأكمل تعريف منسجم مع تقديمه في الجملة .

وقال تعالى : ((**ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**)) الزمر (23)، فقد تقدّم المبتدأ (ذلك) وهو اسم إشارة على الخبر (هدى الله) ، وكان ذلك التقديم لغرض أسلوبي بلاغي وهو لفت النظر وزيادة في التخصيص في وصف القرآن الكريم [177] ، فهو يقصد جَذبَ تنبّه السّامع وإبلاغه في أنّ هذا القرآن هو كتاب هدى من الله تعالى((فالإشارة إلى مضمون صفات القرآن المذكورة وتأثر المؤمنين بهديه ، أي ذلك المذكورُ هدى الله ، أي جعله الله سبَباً كاملاً جامعاً لوسائل الهدى ، فمن فطر الله عقله ونفسَه على الصلاحية لقبول الهدى سريعاً أو بطيئاً اهتدى به)) [178] .

وقال تعالى : ((**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً**)) الإنسان(23) ، تقدم المبتدأ وهو الضمير(نا)المتصل بـ(إنَّ)، وقد وقع اسماً لها ، وإنما جاء هذا التقديم لغرض اختصاص تنزيل الكتاب بالله تعالى ، وجاء ذلك منسجماً مع تكرار الضمير المنفصل (نحن) ،وقد بين الزمخشري ذلك من خلال تحليله تقديم المبتدأ إذ قال : ((تكرير الضمير بعد إيقاعه إسماً لانّ : تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ، ليتقرّر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصواباً ، كأنه قيل : ما نزّل عليك القرآن تنزيلاً مفرقاً منجماً إلا أنا لا غيري)) [179] ، فتغيير القيم الدلالية بفضل التقديم والتأخير يكون تغييرا يوجب لها المزية والفضيلة في إظهار المعنى ودقته .

- تقديم الخبر :

الأصل في الخبر أن يتأخر عن المبتدأ في ترتيب الجملة [180]، ((ولكن هذا الوضع غير ثابت ، فقد يطرأ على الخبر ما يستدعي تقديمه من ضرورة ، أو حظوة باهتمام المتكلم)) [181] ، أو غيرها من الأغراض التي يستدعيها السياق[182] ، وقد وقع تقديم الخبر في موضع واحد فقط وهو قوله تعالى : ((**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**)) آل عمران (7) .

فقد تقدم الخبر وهو الجار والمجرور (منه)على المبتدأ(آيات)وهو تقديم جائز عند النحاة لأن الخبر وقع جارا ومجرورا مع صحة وقوع المبتدأ أولا في الكلام، كأن يكون معرفة أو نكرة موصوفة، فإنه والحال هذه يجوز فيه الأمران من تقديم وتأخير[183]،فجاز أن نجعل منه خبرا مقدما لأنه يصح تقديم المبتدأ عليه لأنه نكرة موصوفة بـ(المحكمات)((أي واضحة المعنى ظاهرة الدلالة محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه))[184]،فوصف النكرة بالمحكمات هي التي سوغت ذلك التقديم ، وهو تقديم الخبر هنا أوفق للصناعة النحوية [185]، ولا داعي لما ذهب إليه ابو السعود من جعل الجار والمجرور مبتدأ وآيات خبره ، لأنه نظر إلى ما يتضمنه الجار والمجرور (منه) [186] وهذا يقودنا إلى التقدير (بعضه آيات أو قسم منه آيات محكمات) ، وإن عدم التقدير أولى من التقدير الذي لا طائل فيه ، فالتقديم للخبر حقق سمة دلالية وهي التخصيص والقصر والتوكيد [187] لوصف القرآن الكريم بأن آياته أحكمت وعبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه[188] .

- تقديم الجار والمجرور .

الجار والمجرور من متعلقات الإسناد ورتبتها عند النحويين والبلاغيين هي التأخير عن الإسناد[189] ، لكنها تمتاز بحرية التنقل في الجملة ، فتتقدم لأغراض بلاغيَّة ترتبط بالمستوى الدلالي ارتباطاً وثيقاً ، وغالباً ما يأتي هذا التقديم لأغراض التوكيد والتخصيص أو الضرورة ، وقد وقع تقديم الجار والمجرور في مواضع عديدة من الآيات الواصفة للقرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ((**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**)) الإسراء(105)

تمثل وصف القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة وتمكنت دلالته بوساطة تحريك العناصر المتعلقة بالإسناد ، وجاء ذلك في موضعين وباللفظ نفسه ، وهو قوله (بالحق) ، فالموضع الأول تقدم الجار والمجرور على جملة (أنزلناه) ، وفي الموضع الثاني تقدم على جملة (نزل) ، وقد دل هذا التقديم على دلالة القصر رداً على من أنكر القرآن الكريم ، وردا على من اتهمه بأنه أساطير الأولين أو سحر مبين أو غير ذلك من الأباطيل ، وقد جاءت كلتا الجملتين في موضع النصب على الحال من الفعل أنزلنا ((أي وما أنزلنا القرآنَ إلا ملتبساً بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه ، أو ما أنزلناه من السماء إلا محفوظاً وما نزل على الرسول إلا محفوظاً من تخليط الشياطين)) [190] ، وهاتان الجملتان في تقدمهما ودلالتهما هذه جعلت المتلقي يعيش في صدمة ومفاجأة فيتفكر في السر الذي دعا إلى هذا التقديم المقصود ، وعند تبينه للدلالة التي يحملها كل من هذين المتعلقين يدرك سر وصف القرآن الكريم بهما قطعاً.

وقال تعالى : ((**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى**)) **النجم(23)** ، تقدم الجار والمجرور (من ربهم) وهما متعلقان بالفاعل (الهدى) ، والذي يبدو أن التقديم جاء هنا لرعاية الفاصلة ، ولا أرى ذلك صواباً وإنما جاء التقديم لدلالة الحصر ، وهو يصب في مصلحة وصف القرآن بأنه جاء من الله تعالى حصرا ، فإذا تأخر المتعلق عن الفاعل كان من المحتمل أن يكون مجي القرآن الكريم من عند

غير الله ، فلما تقدم منع التبادر الذي قد يحصل عن المتلقي بنزول القرآن الكريم من جهة أخرى غير الله ، وأثبت مجيئه له تبارك تعالى ،ومن هنا قام التمكن الدلالي بعملية التأثير في المتلقي فيكون وصف القرآن الكريم جليا ببنية التحويل المقصودة في التركيب .

- التحول بالوصف بالمصدر الواقع حالا.

يكثُر عند العرب مجيء المصدر النّكرة حالاً ، وروي عنهم قولهم : قتلته صبراً، وأتيته ركضاً ، فـ (صبراً) ، و(ركضاً) أحوال وكلّها مصادر[191]، وقد اختلف النّحاة فيها فمذهب سيبويه وجمهور البصريين أنها مصادر في موضع الحال مؤولة بالمشتق أي : (صابرا) و(راكضا) ، ومذهب الكوفيين هي مفاعيل مطلقة للأفعال المذكورة ، ومذهب أبي الحسن الأخفش وأبي العباس المبرد هي مفاعيل مطلقة لفعل مقدّر من لفظها[192].

وذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّ العرب لم تعدل عن الوصف إلى المصدر إلاّ لغرضين : أولهما: المبالغة في المعنى ، فالمصدر مجرد من الحدث والزمن ،وثانيهما: التوسّع في المعنى ، فإذا عبّرت بالمصدر اتسع المعنى، وكسبت أكثر من قصد وغرض، فقد تكسب معنى المصدرية والحالية ، كقولك : (أقبل ركضا) فهذا يحتمل المفعولية المطلقة أي : يركض ركضا ، ويحتمل الحالية ، فقد كسبت معنيين ، وأنت تريدهما معاً[193].

وقد ورد مثل هذا التحول في كثير من الآيات الواصفة للقرآن الكريم[194] ، إذ آثر فيها التعبير القرآني الكريم استعمال المصدر الدال على الحال ، وقد تنبّه العلماء إلى هذه الظاهرة وذلك في قوله تعالى : **((قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ))** البقرة (97)، إذ عدل النص القرآني في قوله تعالى (هدىً) و(بشرىً) إلى المصدر لغرض المبالغة إذ إن (هدى) بمعنى (هادياً) ،و(بشرى) بمعنى (مُبشِّرا) مصدر بمعنى فاعل [195]، فاللفظتان الموضوعتان شهدتا تمكنا دلالياً بتحولهما بمعناهما وصورتهما ، إذ تقدران بالمشتق (هادياً ومبشراً) وهذا التحول يزيد من قيمة الوصف الدلالية للقرآن، ونجد أن هذا التحول بالوصف جاء لحشد الأوصاف القرآنية بعطف الصفات وتكرارها وإشراكها في الحكم [196] ، وجواز عطف الصفات عند النحويين متأت من اختلاف معانيها وتباعدها ، أما إذا اتفقت معاني الصفات واقتربت فلا يجوز العطف ، لأنه يؤدي إلى عطف الشيء على نفسه [197]، وهو ممتنع عند النحويين[198] ، وتعطف الصفات بغية إشراكها في الحكم عند تعددها ، وقد أكد الشيخ عبد القاهر الجرجاني المعنى بقوله : ((فإذا قلت : مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كنت أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة))[199] ، وهذا ما وجدناه بالعطف بين (الهدى) و (البشرى) فهي متعاطفة ؛ لأنها مختلفة في دقائق معناها ، وقد اتخذ القرآن الكريم هذا الأسلوب في تعدد صفاته وتواليها فيفصل بينهما بحرف عطف لتصبح من المتعاطفات؛ وفي تعاطف الصفات تأثير وإقرار وتأكيد للفظ ،قال تعالى: **((ونَزَّلنا عَليكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِ شَيء وهُدىً وَرَحمَةً وَبُشْرَى لِلمُسْلِمِينَ))** (النحل89).

فقد وصف الكتاب بأنه تبيان لكل شيء وأنه هدى ورحمة وبشرى ، ونجد التمكن الدلالي للوصف بالمصدر الواقع حالا فـ(الهدى) و(البشرى) مصدران مؤولان بالمشتق أي (هادياً) و (مبشراً) ، وإنما عدل التعبير القرآني إلى التعبير بالمصدر لغرض المبالغة في المعنى وهو تحول اقتضاه المعنى المقصود، بأن هذا القرآن بالغ في الهداية وبالغ في البشرى ، وأرى إنما أول المفسرون هذين المصدرين بالمشتق (هاديا) و(مبشرا) ، لما لاسم الفاعل من دلالة على الحال والاستقبال مع الحدث ، فالهدى والبشرى للمؤمنين حاصلان ومستمران ؛ يجتمع مع ذلك دلالتهما بصيغة المصدر التي بولغ في المعنى بها؛ ليكون الوصف القرآني ذا جهتين مزدوجتين في الدلالة ، فمن جهة المصدر يكون الوصف دالا على الإطلاق ، ومن جهة التأويل بالمشتق يكون الوصف دالا على الحال والاستقبال ، وهو تعدد دلالي مراد لبيان رفعة وعظمة القرآن الكريم ، ثم إن وصف القرآن بـ(الهدى والبشرى) إنما كان على طريقة المجاز العقلي، وإنما الهادي والمبشر الله تعالى والرسول بسبب الكتاب[200] .

ونلحظ أن المتعاطفات بـ(الهدى والرحمة والبشرى) ، وكلها أوصاف للقرآن لجأت إلى صنعها الآيات البينات من التنزيل العزيز ؛ ليلقي بعضها ظلاله على بعض[201] ، وإن إجراء الكلام على هذه الشاكلة من التنوع في الوصف بالعطف إنما هو من عادة العرب في بسط كلامها؛ وإنَّ كان هذا لا يخلو من فائدة وحكمة[202].

وقال تعالى : ((**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**)) النحل :(102) ، إذ وصف الله كتابه العزيز بعدة صفات متراوحة بين الفعل (يثبت) الدال على تثبيت المؤمنين بالقرآن الكريم ، والمصادر المعبر بها عن دلالة الحال (هدى) و(بشرى) وهي مصادر مؤولة بالمشتق بمعنى (هاديا) و(مبشرا) وهذا التحول يدل على المبالغة في هداية المؤمنين وبشراهم بالقرآن الكريم ، ونجد أن التعبير القرآني قد آثر إطالة النسق بالمتعاطفات ، ليزيد من حشد الأوصاف للقرآن الكريم فقد عطف الفعل (يثبت) على (هدى) و(بشرى) ، وكان هذا العطف قد شهد انزياحا دلاليا مقصودا بالتعبير بصيغة الفعل (يثبت) بدل المصدر (تثبيتا) مثلا – انسجاما مع ما عطف عليها من المصادر (هدى و بشرى) –، وإنما تحول التعبير من صيغة المصدر إلى الفعل لدلالة مقصودة في الوصف ، قال الآلوسي : ((التثبيت أمرٌ عارض بعد حصول المُثبَّت عليه فاختير فيه صيغة الحدوث مع ذكر الفاعل إشارةً إلى أنّه من فعل الله تعالى مختصٌّ به بخلاف الهداية والبشرى فإنهما يكونان بالواسطة)) [203] .

يتضح من كلام الآلوسي أن التعبير بصيغة الفعل عن تثبيت المؤمنين بالقرآن الكريم مختلفةٌ عن التعبير عن الهدى والبشرى لهم بصيغة المصدر ؛ ذلك أنّ السياق لا يقتضي أن يستويا في المعنى ، ولعلّ في الاستعمال القرآني لهذه الصيغة نكتة ؛ لكونها أكثر تأكيداً وقوةً من الفعل ، فالبشرى أمرٌ ثابت من الله تعالى بتحقيق وعده ، أما التثبيت فانه حاجة مستمرة ، ومتجددة كل حين فأداء معناها لا يكون إلا بصيغة الفعل الذي يدلُّ على الحدث المقترن بالزمن فكان التعبير عنه بالفعل هو الأصلح في أداء المعنى وإظهاره [204].

ونظير ذلك قوله تعالى: ((**طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ *هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**)) النمل (1-2) يقول العلامة الطباطبائي : ((قوله تعالى : هدى، وبشرى للمؤمنين : المصدران اعني هدى ، وبشرى بمعنى اسم الفاعل ، والمراد بهما المعنى المصدري للمبالغة...)) [205]أي أنّ هذه الآيات القرآنية هادية، ومُبشِّرة ولم يأتِ بها باسم الفاعل صراحةً وإنما عبّر عن المعنى بالمصدر ؛ لدلالةٍ قرآنيةٍ معجزة وهي إرادة المبالغة في التعبير عن وصف القرآن الكريم بأنه هاديا ومبشرا.

والحاصل مما تقدّم : أنّ استعمال النص القرآني صيغة المصدر لم يكن استعمالا عابراً إنما لكونها أكثر تأكيداً من الصيغ الأخرى ، ولدلالتها على المبالغة ، فكان المصدر أكثر ملاءمة للسياق وأكثر انسجاماً مع المعنى المراد إظهاره ، وإنَّ تأكيد الوصف بالمصدر دليل من دلائل تحقيق الوعد الإلهي ، وبِشارة بثواب الأعمال الصالحة ، إذ توخى النص القرآني الكريم الصيغ المنسجمة مع السياق والمعنى الذي هو بصدده فكأنها باتت مقصود لهذا المكان من دون غيره [206].

ـ التحول بتعدد الصفات في التركيب.

يرتبط هذا التحول بتعدد الصفات ، ونقصد بالتعدد أن تكون في التركيب اللغوي الواحد وظيفة نحوية متكررة بأشكال لغوية مختلفة؛ مثل تعدد وظيفة النعت ، ولم يمنع النحاة هذا الإجراء اللغوي ، يقول سيبويه))فإن أطلت النعت فقلت: مررتُ برجل عاقلٍ كريم مسلم،فأجره على أوله))[207]. فهو لا يمنع تعدد النعت ، وقد سماه إطالة. وهذا التعدد من غير عاطف، لمنعوت واحد هو المراد أو المقصود في هذه الدراسة.

مما لاشك فيه أن الآيات التي تصف القرآن الكريم ترسم صورة خارجية شبه كاملة عن القرآن؛ ليتسنى للقارئ تخيل ملامحه عندما يتحدث عنه ؛ لأن القارئ سيربط تلك الصفات بمخيلته التي تنقله إلى الدلالة التي يريدها القرآن الكريم وهي تكوين صورة ذهنية عن القرآن الكريم بالإيجاب،وبيان صفات القرآن الكريم وتكثيف الأوصاف لتتمكن دلاليا ، في تكثيف الشعور بالحالة النفسية التي تؤدي إلى الإيمان به والتصديق بما جاء فيه، وقد وجد الباحث أنَّ كثيراً ما تأتي صفات القرآن الكريم بألفاظ مزدوجة ومتوالية في الاستعمال فهي متواردة على نسق واحد؛ لا يفصل بينهما فاصل، أي: غير متعاطفة، وفي ذلك غاية أساس هدفها جعل الكلام ذا قيمة لفظية وما توحي تلك القيمة من دلالات صوتية واجتماعية وإيحائية[208]،قال تعالى : **((وَهَـذَا كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ مُبَـارَكٌ مُصَدِّقٌ))**(الأنعام92).

فقد وصف الكتاب بأربع صفات مزدوجة متواردة من دون فاصل يفصلها ، وهي : أنه كتاب ، وأنه منزل بالجملة (أنزلناه) وأنه (مبارك) و (مصدِّق) وهذه الصفات متواردة تستدعي أحدهما الأخرى ، فالوصف بالكتاب يقتضي الوصف بإنزاله ، والوصف بإنزاله يستدعي أنه مبارك من جهة صدوره ، وهذا يستدعي أنه مصدق لما بين يديه من كتب سماوية أخرى ، ونلحظ أن إسقاط العاطف يعني أن هذه الأوصاف التي هي ألفاظ قبل أنْ تنتظم في سياق خاصٍّ ذات دلالة خاصّة و قبل أنْ تنتظم فيه كانت ألفاظ معجميّة تربطها علاقات دلاليّة كثيرة جعلتها من حقل دلاليٍّ واحد ، وهذا راجع إلى ((ما يقوم بين مفردات المعجم من علاقات تجعلها تقع في أصناف متميّزة ، بحيث يلتقي صنف منها بصنف فيصبح للكلمة من هذا والكلمة من ذاك ان يجتمعا في الجملة الواحدة فيستقيم المعنى باجتماعهما ، ويتنافر صنف منها مع صنف فلا يستقيم المعنى بالجمع بين مفرداتها في الجملة الواحدة))[209] ، فهو كتاب منَزَّل مباركٌ مصدَّق ، وفي هذا التوالي للصفات يتم إقرار الوصف وتأكيده وترسيخه في ذهن المتلقي .

ولنتأمل الآية الكريمة الآتية التي يزداد فيها عدد الصفات المزدوجة في قوله تعالى: **((اللهُ نـزَّلَ أحسَنَ الحَديثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مثاني تَقْشَعِرّ مِنْهُ جُلودُ الذّينَ يَخْشَونَ ربَّهُمْ))** (الزمر 23).

فقد وردت ست صفات متواردة مزدوجة لا يفصل بينها فاصل ، فهذا الازدواج المتوالي يجعل الوصف أشد تأثيراً في النفس لما له من وقع خاص فيها فقد وصف بأنه : منزل ، وأحسن الحديث ، وكتاب ، ومتشابه ، ومثاني – والجملة- (تقشعر به جلود الذين يخشون ربهم)[210] ، ووصف القرآن الكريم بأنه متشابه ، أي انه متشابه في صحة معانيه وأحكامه وتتناسب ألفاظه وأساليبه وتكرار قصصه وأوامره ونواهيه ووعده وعيده، وكانت هذه الأوصاف متواردة تستدعي بعضها بعضاً تصدر عن قصدية عالية في الوصف القرآني ، وفي هذه الصفات المزدوجة : ((إشارة الى النظام المعجز الذي تبنى عليه عربية القرآن الكريم والوقوف الى حقيقته الاعجازية ؛ والآية الكريمة من الشواهد الواضحة على المعنى الحركي للنص القرآني الذي لا تنقضي مع الزمن عجائبه ولا تنتهي أسراره))[211].

فتدفق الصفات المزدوجة وتواردها واستدعاء بعضها بعضاً أدى إلى حركة عالية في الدلالة فضلاً عن حركة النص اللفظية برصف ألفاظ تصف القرآن الكريم بصفات جليلة ، قل نظيرها في وصف القرآن الكريم في غير هذه الآية .

ثم أن إسقاط العاطف بين الجملتين (الله نزل أحسن الحديث) وجملة (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) ؛ لأنَّ الجملة التالية للجملة الأولى كانت بدلاً منها أو توكيداً لها من حيث المعنى ، فالجملتان بينهما اتحاد تام في المعنى ، لذا استغنتْ عن حرف العطف ويسمي البلاغيون هذا الانفصال بكمال الاتصال[212] ، ثم إن هذا الآية شهدت تمكنا دلالياً مزدوجاً بحشد الصفات والفصل بينها ـ من قبيل أن كل وصف هو تأكيد للوصف الذي يليه في المعنى ـ وكذلك الفصل بين الجملتين التي ذكرناهما ، ومن ثم يشهد النص تماسكا دلالياً وتمكناً في إيصال المعنى المطلوب من وصف القرآن الكريم .

وقال تعالى: ((**قُرآناً عربياً غير ذي عِوَجٍ**)) (الزمر 28) ، فقد وصف القرآن الكريم بصفتين مزدوجتين، لا يفصل بينهما فاصل فقد وصف بأنه عربي لا عوج فيه ، فهما صفتان متواردتان تستدعي إحداهما الأخرى ؛ لأن العربي يستدعي ان لا عوج في الكلام ولا عجمة ، وفي هذا الازدواج يكون تقرير الصفة وترسيخها ، وأرى أن ترك العطف بالواو مثلاً والاستغناء ؛ لأنَّ العطف بالواو إنَّما يكون للجمع بين شيئين متباينين[213] ، ولمَّا كانت كلُّ صفة بمعنى الصفة التي قبلها ، أو بمنزلة الجزء منها ، اقتضى المقام ترك العطف ، لكون الشيء لا يجوز عطفه على نفسه [214] ، وبها تكون الصفات المزدوجة المتواردة كأنها صفة واحدة ، وهذا دليل على تماسك النص وانسجامه ، ومن ثم إيصال دلالة الوصف بصورة أسرع إلى ذهن المتلقي .

وكذلك قوله تعالى: **((حم * تَنزيلٌ مِنْ الرّحمَنِ الرّحِيمِ * كِتابٌ فُصِّلَت آياتُهُ قُرآناً عربياً لِقومٍ يعلمون *بَشيراً ونَذيراً))** (فصلت 1-4) ، ورد في الآية الكريمة عدد من الأسماء والصفات المزدوجة فقد ذكرت ثلاثة أسماء شائعة للقرآن الكريم وهي (تنزيل؛ وكتاب ؛ وقرآن) ووردت أربع صفات أخرى (بأنه متصلة آياته وأنه عربي وأنه بشير ونذير) ، وإنَّ كل تلك الأسماء والصفات المتواردة هدفها استكمال العناصر الأساس للصورة وجعلها واضحة كاملة من شأنها ان تؤثر تأثيراً وجدانياً قوياً تجعل الإنسان يكف عن المعصية ويعكف على الإيمان[215] ، ونلحظ أن اسقاط العاطف بين هذه الصفات ؛ لما في هذه الصفات من تلاحم

تام فهي كالصفات الواحدة للقرآن الكريم ، فهي غير متباينة ، لذلك كان لابدَّ من الفصل وترك العطف الذي يقتضي المغايرة ((فأداة العطف لا تعطف الشيء على نفسه)) [216] ، وهناك سبب بلاغي آخر أراه مسوغاً لهذا الفصل هو أنَّ كلَّ صفة جاءت مؤكدة ومبينة لسابقتها ، أو بدلاً منها ، وهذا موضع يجب الفصل معه وترك الوصل على قول البلاغيين[217] .

الخاتمة

قامت فرضية البحث على الكشف عن التمكن الدلالي في تركيب الجملة الواصفة للقرآن الكريم في النص القرآني من حيث موضع اللفظة وتوافقها مع ما يجاورها من ألفاظ ، ويمكننا القول ان البحث توصل إلى مجموعة من النتائج هي:

أ . توجد في الآيات الواصفة للقرآن الكريم تراكيب للجملة في آيات تناظر تراكيب أخرى في آيات ثانية ، ولكنها تفترق بأشياء جزئية من حيث تغيير في بنية اللفظة أو تغيير في الصيغة اللفظية أو حذف وذكر أو تعريف أو تنكير ، أوغيرها على الرغم من اتحاد تلك التراكيب في المعنى العام ، ولكن التمكّن الدلالي للفظة يرتبط بالعلاقات بين البُنى المتوالية للنَّص بأكمله على وفق مناسبة اللفظة لمعناها وسياقها التي ترد فيه وتعد هذه الظاهرة النحوية من الظواهر البينة في القرآن الكريم ، وتشكل مظهراً من مظاهر إعجازه.

ب ـ ان أسلوب الاختيار الذي رسمه القرآن الكريم في إيراد الألفاظ والتراكيب سواء كان هذا المعنى أم ذاك ، فإن السمة الدلالية التي يتحلى بها الوصف القرآني يتميز عند المتلقي بالتمكن الدلالي الناشئ من التغاير المقصود في تركيب الجملتين ، أو في اختيار الألفاظ لهما، يجعل ذهنه يرتد إلى كشف الدلالات المتوخاة من هذا التغاير، ومن ثم يكمن سر الوصف القرآني من الباري عز وجل.

ج ـ حاول البحث تبيين المسوّغات التي جعلت هذه اللفظة تتمكّن من سياقها التي ترد فيه من دون لفظة أخرى تقترب من دلالتها العامّة، وقد وجد ألفاظا معيَّنة تحظى بتعبيريَّة داخليَّة وطبيعة تختلف فيها عن الألفاظ الأخرى المشتركة معها في تكوين التركيب ، وبهذا يتم التمكن الدلالي للألفاظ في كسر أفق التوقع لدى المتلقي ، وفي أثناء ذلك تنشأ الصدمة الدلالية عنده ليجد في وصف القرآن الكريم الدلالة والقيمة التعبيرية التي يفرضها السياق والمعنى المراد منه .

دـ يرتبط التمكن الدلالي ارتباطاً وثيقاً بالتحول عن النمط المألوف في بناء الجملة والانتقال بها إلى خطاب فعال يؤثر في المتلقي ، ويعتمد التحول في بناء الجملة على بنيتين لغويتين هما: بنية الأصل وبنية التحوّل التي تقاس بالأصل .

هـ ـ وجد البحث انَّ التحوّل في تركيب الجملة القرآنية يؤسَّس على قصدٍ واعٍ من الاستعمال ترتفع فيه درجة الإحساس والشُّعور ،حتى غدا التحوّل احد أنظمته في الإعجاز ، وقد وقف البحث عند بعض التحوّلات التي وردت في تركيب الجملة الواصفة للقرآن الكريم وبين دلالتها ، ومن هذه التحولات التي وقف عندها هي: التحول بالحذف والتحول بالتقديم والتأخير والتحويل بالوصف بالمصدر الواقع حالا ، والتحول بتوارد الصفات في تركيب الآية الواصفة للقرآن الكريم.

و ـ إن الغاية الأساس للتمكن الدلالي وتغاير الأنماط في بناء الآيات الواصفة للقرآن الكريم هي إظهار رفعة و عظمة القرآن الكريم ، ثم قصد التأثير في نفوس السامعين ، فهو كتاب منَزَّل مباركٌ مصدَّق ، وهنا نجد في هذا التوالي للصفات لإقرار الوصف وتأكيده وترسيخه في ذهن المتلقي .

الهوامش

(1) دلائل الإعجاز 45 ، وينظر : فصول في اللغة والنقد 166والتمكن الدلالي للفرائد القرآنية 300 .
(2) دلائل الإعجاز 526 .
(3) الجملة في القرآن الكريم ـ دراسة أسلوبية دلالية ـ 529.
(4) المصدر نفسه 529.
(5) بين البقرة 159و 174، وبين البقرة 119و فاطر 24، وبين النساء 82ومحمد24، وبين يونس38وهود13، وبين هود35والسجدة 3والأحقاف 8، وبين المائدة 44والمائدة 48، وبين الزمر 2والزمر 41، وبين يوسف 2والدخان 3والقدر 1، وبين الأنعام 106ويونس 109والأحزاب 2، وبين الكهف 27والعنكبوت 45، وبين البقرة 147وآل عمران 60ويونس94 ، وبين البقرة 121والأنعام 20، وبين يونس1ويوسف1والحجر1والرعد 1،وبين الشعراء 2والقصص2ولقمان2، وبين البقرة 252وآل عمران108، والجاثية6،وبين السجدة2والزمر1وغافر1والجاثية2والأحقاف2و بين البقرة 23ويونس38وهود13وبين الإسراء 41و89و الكهف54والروم 58، الزمر 27، وبين الأعراف 2وابراهيم1وص29،وبين المدثر 54وعبس11، وبين الإسراء89والروم58والزمر 27،وبين الأنفال 31ويونس15ومريم 73، وبين الأنبياء 2والشعراء5، وبين الأنعام92و155والأنبياء50 بين البقرة136وال عمران84وبين لقمان 7 والجاثية 7–8وبين المدثر 54وعبس 11وبين البقرة 120و145بين ابراهيم52وص29وبين الحجر 12والشعراء 200وبين الانعام90والتكوير27،بين الانبياء 2والشعراء 5وبين الرعد37وطه113وص29، وبين محمد9و26، بين الكهف27والسجدة22، بين التوبة 32والصف8 بين الأنعام5والشعراء 6 ، سيقوم البحث بدراسة قسم منها ، في مباحثه الثلاثة.
(6) جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم 310.
(7) جدلية الافراد والتركيب 134 .
(8)المثل السَّائر 2 / 12.
(9) ينظر : البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم : 9.

(10)التوجيه النحوي في كتب متشابه القرآن اللفظي من القرن الرابع حتى نهاية القرن الثامن الهجري(رسالة ماجستير) : 184.
(11) ينظر : البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم : 9.
(12) ينظر : ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفيّة د.وسميَّة عبد المحسن المنصور، بحث نشر مرة ثانية في إصدارات مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية 2005م.
(13) ينظر :الكشاف : 174/1، 17/7، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : 153/1، وتفسير أبي السعود : 4/2، وبصائر ذوي التمييز :4/5، وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : 56-57.
(14) ملاك التأويل : 76/1.
(15) البحر المحيط : 378/2.
(16)السنن الكبرى للنسائي رقم الحديث 11625 وينظر: البرهان في علوم القرآن 1/ 288.
(17) ينظر : البرهان في متشابه القرآن 301، و بصائر ذوي التمييز: 431/1.
(18) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية :58.
(19) ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : 58-59، والبحث الدلالي في كتب المتشابه اللفظي : 117-119.
(20) ينظر : كتاب سيبويه : 22/2. والخصائص: 242/3.
(21) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :286/2، والأشباه والنظائر في النحو : 2/ 126
(22) ينظر: درة التنزيل: 363.
(23) ينظر: البرهان للكرماني : 190.
(24) ملاك التأويل: 1119/2.
(25) ينظر: معاني النحو/ 40/1.
(26) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن: 125/8.
(27) ينظر: المصدر نفسه: 125/8.
(28) ينظر: دلائل الإعجاز : 317.
(29) ينظر : التوجيه النحوي في كتب متشابه القرآن اللفظي : 147.
(30) ملاك التأويل : 162/1-163، وينظر : البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي : 225-226.
(31) من هذه المصنفات : الفعل زمانه وأبنيته ،نحو الفعل ، والدلالية الزمنية للجملة العربية ، والدلالية الزمنية في الجملة القرآنية
(32) التحرير والتنوير : 24/15
(33) ينظر : ملاك التأويل : 290/2.
(34) الكشاف :446/2.
(35) تفسير أبي السعود 11/19، وينظر: روح المعاني 90/7
(36) ينظر : التحرير والتنوير:24/15-25
(37) .المثل السائر:1\213.
(38) .بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في اللغة) 27 .
(39) المصدر نفسه:26 .
(40)ينظر: التمكن الدلالي للفرائد القرآنية 301 .
(41) .من أساليب التعبير القرآني:359.
(42) الكلمة في الشعر العراقي المعاصر : البنية الصرفية والدلالة (بحث) : 7.
(43) ينظر: الكتاب: 4/ 231.
(44)ينظر:المصدر نفسه:4\231.
(45) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل : 26.
(46) ينظر: الكشاف: 1/ 221.
(47) ينظر: المصدر نفسه : 1/ 408.
(48) ينظر : الخصائص :2/ 270. ولسان العرب (علو) .
(49) ينظر : التوجيه النحوي في كتب متشابه القرآن اللفظي :56.
(50) ينظر : مغني اللبيب: 1/ 327.
(51) ينظر شرح ابن عقيل 124/1.
(52) ينظر: درة التنزيل: 19، والتوجيه النحوي في كتب متشابه القرآن اللفظي : 153.
(53)ينظر : كتاب سيبويه : 201/1.
(54)ينظر : المقتضب : 158/2.
(55) ينظر: درة التنزيل: 19.والتوجيه النحوي في كتب متشابه القرآن اللفظي : 153.
(56) ينظر: درة التنزيل: 19.
(57) ينظر : ملاك التأويل :345/2-346. 366.

(58) ينظر : البرهان في متشابه القرآن : 239.
(59) ينظر : البحث الدلالي في كتب المتشابه اللفظي :530.
(60) ينظر : التحرير والتنوير:802
(61) ملاك التأويل : 282/2-283، وينظر: البحث الدلالي في كتب المتشابه اللفظي : 557-558.
(62) المفردات في غريب القرآن : 799.
(63) المصدر نفسه: 746.
(64) البرهان في متشابه القرآن : 287-288.
(65) المفردات في غريب القرآن : 709.
(66) ينظر : البحث الدلالي في كتب المتشابه اللفظي : 542.
(67) ينظر: روح المعاني :253/15-254.
(68) ينظر : لسان العرب (لقى) و القاموس المحيط (لقى)
(69)ينظر:روح المعاني : 163/29.
(70) ينظر : التحرير والتنوير : 246/16
(71)التحرير والتنوير : 431/30 .
(72)ينظر:البلاغة والأسلوبية:الدكتور محمد عبد المطلب:268.
(73) .في نحو اللغة وتراكيبها : خليل أحمد عمايرة : 55
(74) ينظر : البنى النحوية : 5، والبلاغة العربية قراءة أخرى : 91-102.
(75) البلاغة العربية قراءة أخرى : 201.
(76) ينظر: المصدر نفسه: 215.
(77) ينظر : الحذف والتقدير في الدراسة النحوية:78.
(78) البرهان في علوم القرآن:3/ 102.
(79) المقتضب :2/ 81 .
(80) الخصائص :2/ 360 .
(81)ينظر:الكتاب : 24/1-25وما بعدها .
(82)ينظر: معاني القرآن (الفراء) : 75/1 .
(83)ينظر : الخصائص : 360/2 .
(84) دلائل الإعجاز : 146 .
(85)البقرة147والكهف29 و الاعراف 2، وهود1، وابراهيم 1، وفصلت3.
(86) ينظر : الكشاف :204/1، انوار التنزيل وأسرار التأويل :99/1، روح المعاني : 564/2.
(87) شرح المفصل: 1/ 94.
(88) إعراب القرآن (النحاس) : 222/1.
(89) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1/ 126.
(90) ينظر : الكشف والبيان في تفسير القرآن :209/1،والبحث النحوي في تفسير الكشف والبيان لأبي إسحاق إبراهيم الثعلبي (ت 427 هـ)(رسالة ماجستير) : 65.
(91) ينظر : البحث النحوي في تفسير الكشف والبيان لأبي إسحاق إبراهيم الثعلبي (ت 427 هـ)(رسالة ماجستير) : 65.
(92) ينظر : الأثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، محمد العارضي 104 .
(93) ينظر : الكشاف : 85/2.
(94) ينظر : المحرر الوجيز : 372/2، تفسير أبي السعود :471/2.
(95) التحرير والتنوير :10/8.
(96) ينظر : مفتاح العلوم : 176–180.
(97) تفسير أبي السعود :471/2.
(98) التحرير والتنوير : 10/8.
(99)ينظر : نحو الفعل : 23 .
(100)ينظر: شرح المفصّل : 239/1 .
(101)ينظر: شرح قطر النّدى : 125- 126 ، وشرح ابن عقيل :1/ 244 .
(102) البقرة2، يونس37، والسجدة 2.
(103)ينظر: ارتشاف الضّرب :3/ 1298
(104)ينظر : المفصّل :52.
(105) ينظر : تفسير أبي السعود :23/1-24.
(106) تفسير أبي السعود :24/1

(107) الحذف والتقدير في الدراسة النحويّة : 143 .
(108) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :181/2.
(109)ينظر: شرح المفصّل:1/ 114وما بعدها ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك :2/ 150–152، والجملة الفعلية :172وما بعدها.
(110) طه4، ويس 5.
(111) ينظر : تفسير أبي السعود : 268/4.
(112) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : 148/2.
(113) ينظر: تفسير أبي السعود : 268/4.
(114) ينظر: المحرر الوجيز : 37/4
(115) دراسات في فلسفة النحو واللغة والصرف:د.مصطفى جواد:45.
(116) اللمع في العربيّة : 227.
(117) ينظر : كتاب سيبويه (هارون): 103/3 ، المقتضب : 81/2 .
(118) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحاة البصريين والكوفيين: 461/2 – 462 .
(119) المصدر نفسه : 461/2 ، وينظر : شرح المفصل : 9/9 .
(120) الرعد31، فصلت 52، والأحقاف 10.
(121) ينظر : تأويل مشكل القرآن : 234، 303، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : 242 ، ومغني اللبيب : 647/2.
(122) الكشاف : 529/2.
(123) إعجاز القرآن (الباقلاني) : 262.
(124) ينظر : مستويات السرد الوصفي القرآني دراسة أسلوبية : 245.
(125) الكشاف : 299/4.
(126) ينظر : تفسير الفخر الرازي : 9/28، والتحرير والتنوير : 17/26.
(127) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : 331،
(128) يُنظر: كتاب سيبويه (هارون) : 3/ 106.
(129) شرح الكافية الشافية: 1/ 387.
(130) يُنظر: شرح الرضي على الكافية : 4/ 315 .
(131) يُنظر: كتاب سيبويه (هارون) : 3/ 66، شرح الرضي على الكافية: 4/ 315 .
(132) يُنظر: معاني القرآن (الفراء): 1/ 66 .
(133) يُنظر: الجنى الداني في حروف المعاني : 137 .
(134) يُنظر: شرح الكافية الشافية : 1/ 402 .
(135) يُنظر: كتاب معاني الحروف: 54.
(136) البقرة 99، والأعراف 52، ويونس94 ، والحجر 87 ، والإسراء 41 ، والاسراء89، الكهف54، والأنبياء10،والنور34، 46، والقصص51، والروم 58 ، الزمر27، والنجم23، والقمر17، 22 ، 32، 40.
(137) ينظر : التحرير والتنوير : 607/1.
(138)ينظر: موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب : 229، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع :1/ 40.
(139) ينظر: كتاب اللامات : 78 - 79.
(140) شرح الرضي على الكافية:4/ 313.
(141) ينظر : تفسير الفخر الرازي : 215/3.
(142) ينظر : تفسير الجلالين : 21/1.
(143) يُنظر: شرح الرضي على الكافية : 4/ 462 .
(144) الإيضاح في علوم البلاغة: 44.
(145) ينظر : الإتقان في علوم القرآن :2/ 259–261.
(146) يُنظر: تفسير أبي السعود : 497/2.
(147) التحرير والتنوير : 117/8.
(148) شرح الرضي على الكافية : 4/ 315.
(149) شرح التصريح على التوضيح : 413/2.
(150) كتاب سيبويه (هارون) : 84/3.
(151) يُنظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 125/2.
(152) الكشاف : 691/2–692.
(153) ارتشاف الضرب: 4/ 1783 .

(154) يُنظر: شرح جمل الزجاجي :الشرح الكبير :1/ 541، شرح الرضي على الكافية :4/ 316، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : 2/ 645.
(155) ص1، وق1.
(156) مجمع البيان في تفسير القرآن :343/8.
(157) معاني القرآن (الفراء) : 397/2، وروح المعاني : 216/23.
(158) معاني القرآن (الفراء) : 397/2.
(159) ينظر : الكشاف : 70/4.
(160) النكت في إعجاز القرآن : 77.
(161) ينظر : البحر المحيط : 120،3/8، والتحرير والتنوير : 231/26.
(162): وروح المعاني : 450/26.
(163) ينظر : روح المعاني : 450/26.
(164) ينظر : البحر المحيط : 120/8، وروح المعاني : 450/26.
(165) من أسرار البلاغة في القرآن :67.
(166) كتاب سيبويه : 127/2.
(167) الكتاب : 34/1 و ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي : 80-81 .
(168) ينظر : دلائل الإعجاز :417-418.
(169) ينظر :عن التقديم والتأخير في مثل : المثل السائر : والتبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : وكتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ومفتاح العلوم : والإيضاح في علوم البلاغة :
(170) ينظر: نحو المعاني : 65 ، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم : 12 ـ 55 ، ودلالات التراكيب : دراسة بلاغية : 176 .
(171) ينظر : كتاب سيبويه: 23/1 .
(172) التقديم والتأخير في القران الكريم : 62 .
(173)ينظر: شروح التلخيص : 391/1.
(174) تفسير أبي السعود: 23/1-24
(175) ينظر: شرح الرضي على الكافية: 477/2.
(176) كتاب سيبويه : 2/ 80.
(177)ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم :61 .
(178) التحرير والتنوير : 391/23.
(179) الكشاف : وينظر : مفتاح العلوم : 234.
(180) اللمع في العربية : 80.
(181) في النحو العربي : قواعد وتطبيق : 149.
((182ينظر : علم المعاني (درويش الجندي) : 84.
(183) ينظر : شرح ابن عقيل : 240/1 .
(184) روح المعاني : 108/3.
(185)ينظر : تفسير أبي السعود : 214/1 ، ورح المعاني : 107/3.
(186)تفسير أبي السعود : 214/1 .
(187) ينظر : نحو المعاني:86.
(188) ينظر: الكشاف : 337/1.
(189)ينظر : المقتضب : 102/4 والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : 39/2 .
(190) تفسير أبي السعود : 199/5.
(191)ينظر : كتاب سيبويه:1/ 370، وشرح الرّضي على الكافية:2/ 38-39.
(192)ينظر : كتاب سيبويه:1/ 370-371، والمقتضب:3/ 234، وهمع الهوامع:2/ 298- 299.
(193)ينظر: معاني النّحو:2/ 249-250.
(194) منها البقرة 97، وآل عمران 138، والأعراف 203، ويونس 57، والنحل 89، 102، والنمل 2.
(195) ينظر : شرح الرضي على كافية ابن الحاجب :1/ 318، وارتشاف الضرب : 2/ 594، وهمع الهوامع : 5/ 183.
(196) ينظر : المصدر نفسه 318/1..
(197) ينظر : همع الهوامع : 183/5.
(198) ينظر : بدائع الفوائد: 189/1.
(199) دلائل الإعجاز : 223.
(200) ينظر: أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم /119.

(201) ينظر: التحرير والتنوير/ 13/ 3053.
(202) ينظر: البرهان/1/ 124، وينظر: الإتقان/115/2.
(203)روح المعاني : 629/14-630.
(204) ينظر : البشارة في القرآن الكريم : دراسة لغوية نحوية (رسالة ماجستير) : 75.
(205) الميزان في تفسير القرآن : 371/15.
(206) ينظر : البشارة في القرآن الكريم : دراسة لغوية نحوية : 75-77.
(207) الكتاب 421/1.
(208) ينظر: التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ، 16.
(209) .مقالات في اللغة والأدب:1\137.
(210) ينظر: البرهان/272/3، وينظر:معاني النحو/166/3، وينظر: الاتقان/114/1.
(211) ينظر: العدول عن النظام التركيبي في اسلوب القرآن الكريم(اطروحة دكتوراه)189.
(212)ينظر: مفتاح العلوم : 258 ، والإيضاح في علوم البلاغة : 250/1.
(213)ينظر : كتاب المقتصد في شرح الإيضاح : 937/2 .
(214)ينظر : نحو المعاني : 76 .
(215) ينظر: أسرار التشابه الأسلوبي/119.
(216) علم المعاني : تأصيل وتقييم:162 . ينظر : مفتاح العلوم : 253
(217)ينظر : مفتاح العلوم : 253

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

1. الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (ت911هـ) ، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424هـ - 2003م.
2. الأثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن : محمد جعفر العارضي ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، (رسالة ماجستير).
3. أثر النحاة في البحث البلاغي : د.عبد القادر حسين ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة- القاهرة ، ١٩٧5.
4. ارتشاف الضرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: رجب عثمان محمد - رمضان عبد التواب ، الناشر: مكتبة الخانجي 1418 – 1998
5. أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم ، شلتاغ عبود الناشر: دار المحجة البيضاء - دار الرسول الاكرم ط1، 2003 .
6. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، الدكتور حسن طبل ، طبع ونشر دار الفكر العربي ، القاهرة ـ مصر ، (د. ت) .
7. الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي (ت 911هـ) ، وضع حواشيه غريد الشيخ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1428هـ - 2007 م .
8. إعجاز القرآن، لإبي بكر الباقلاني؛ المحقق: السيد أحمد صقر؛ الناشر: دار المعارف - مصر .
9. إعراب القرآن:للنحاس(ت 338هـ)تحقيق: الدكتور زهير غازي ، مطبعة العاني، بغداد، 1397 هـ ـ 1977م.
10. الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات الأنباري (ت 577هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، 1982م.
11. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ، تقديم محمود عبد القادر الإرناؤوط ،دار صادر ، ط1،بيروت ، 2001م.
12. أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ، 2009م.
13. الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني (739هـ)، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ط2، دار الكتب ، 1984م.
14. البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، احمد ابراهيم صاعد ، جامعة بغداد ، 2008. (اطروحة دكتوراه)
15. البحث النحوي في تفسير الكشف والبيان لأبي إسحاق إبراهيم الثعلبي (ت 427 هـ) حوراء مهدي صاحب الموسوي، جامعة الكوفة، التربية للبنات، 2010 (رسالة ماجستير)
16. البحر المحيط ،لأبي حيان الأندلسي (ت745هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، ط3 ،بيروت ـ لبنان ، 1411هـ - 1990م.
17. بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
18. البرهان في علوم القُرآن، للزركشي (ت 749هـ)، حرج حديثة وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، 1425هـ - 1426هـ - 2005م.

19. البرهان في متشابه القرآن ، برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505) المحقق : د. السيد الجميلي .دار النشر : مركز الكتاب للنشر – القاهرة .
20. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت 651هـ)تحقيق: الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، ط1، بغداد ، 1393هـ-1974م.
21. البشارة في القرآن الكريم : دراسة لغوية نحوية ، ايناس نعمان مهدي ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة 2008(رسالة ماجستير)
22. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ـ لبنان (د.ت) .
23. البلاغة العربية قراءة أخرى ، الدكتور محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، طبع في دار نوبار، للطباعة ، ط2 ، القاهرة ، 2007م .
24. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت2007 .
25. البلاغة والأسلوبية ، الدكتور محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، مكتبة لبنان ـ ناشرون ، بيروت ـ لبنان ، طبع في دار نوبار للطباعة ، ط4، القاهرة ، 2010م.
26. البنى النحوية وأثرها في المعنى ، أحمد عبد الله العاني ، جامعة ،بغداد ،كلية الآداب ،1423هـ 2003م.
27. بيان إعجاز القرآن:(ضمن ثلاث رسائل في اللغة) للخطابي ، تحقيق: محمد خلف الله - محمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر1976.
28. تأويل مشكل القُرآن، للإمام ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدينوري (276هـ)، تحقيق السيِّد أحمد صقر، مكتبة دار التراث للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1،القاهرة ، 1427هـ- 2006م.
29. التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت616هـ)، وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت ـ لبنان ، 2010م.
30. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ)، مؤسسة التاريخ ، ط1، بيروت ـ لبنان، (د.ت) .
31. التصوير الفني في القرآن ـ سيد قطب ، دار الشروق .
32. تفسير أبي السعود ، لأبي السعود محمد الحنفي (ت 951هـ) وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط1،بيروت ـ لبنان ، 1419هـ - 1999م.
33. تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلي(ت864هـ)، و جلال الدين السيوطي(ت911هـ) ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ـ لبنان ، 1424هـ - 2003م.
34. تفسير الفخر الرازي ، لفخر الدين الرازي(ت 606هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط3، بيروت ـ لبنان، 1405هـ 1985م.
35. التقديم والتأخير في القران الكريم ، حميد احمد عيسى العامري ، دار الشؤون الثقافية ، ط1 ، بغداد 1996.
36. التمكن الدلالي للفرائد القرآنية، م . م شكيب غازي. يحث مجلة كلية الفقه ،السنة: 2011 الاصدار: 14 .
37. التوجيه النحوي في كتب متشابه القرآن اللفظي من القرن الرابع حتى نهاية القرن الثامن الهجري(رسالة ماجستير)
38. جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم تأليف : محمد عبد المطلب ... القاهرة الطبعة الأولى 1995م
39. جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم ، الدكتور أسامة عبد العزيز جاب الله ، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع ، طنطا، 2008م.
40. الجملة الفعليّة ، الدكتور علي أبو المكارم ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة ، 1428هـ-2007م.
41. الجملة في القرآن الكريم دراسة أسلوبية دلالية ، الدكتور عدنان خالد فضل المرابحي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، ديوان الوقف السني ، ط1، جمهورية العراق – بغداد 1434هـ – 2013م.
42. الجنى الداني في شرح حروف المعاني، صنعة الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت- لبنان ، 1413هـ- 1992م.
43. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الشيخ محمّد الخضري(ت1287هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت 1398هـ - 1978م.
44. الحذف والتقدير فى النحو العربي ، الدكتور على أبو المكارم ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (2008)
45. الخصائص ،لابن جني (ت 392هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، مشروع النشر العربي المشترك : الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية العامة ، ط4، بغداد ، 1990م .
46. دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم ، لمصطفى جواد ، بغداد:مطبعة اسعد . 1968
47. دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث القاهرة .
48. درة التنزيل وغرة التأويل ؟،للخطيب الإسكافي (المتوفى: 420هـ) تحقيق: د محمد مصطفى ، جامعة أم القرى، ط1، 1422 هـ - 2001 م

49. دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، الشركة الدولية للطباعة ، ط5 ، القاهرة ، 1424هـ -2004م.
50. دلالات التراكيب : دراسة بلاغية ، الدكتور محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط4 ،القاهرة ، 1429هـ - 2008م.
51. روح المعاني في تفسير القُرآن العظيم والسبع المثاني ، للآلوسي (ت 1270هـ)،علَّق عليها محمّد أحمد الأمد، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ،ط1، بيروت- لبنان ، 1420هـ- 1999م.
52. السنن الكبرى ، للنسائي (المتوفى: 303هـ)حققه : حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ط1، 1421 هـ - 2001 م
53. شرح ابن عقيل ، لابن عقيل ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث - دار مصر للطباعة1400 – 1980.
54. شرح جمل الزجاجي ،لابن عصفور الاشبيلي (ت669هـ) ، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة ، جامعة الموصل، 1402هـ-1982م.
55. شرح الرضي على الكافية، تأليف محمّد بن الحسن الرضي الأُستراباذي (ت 686هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسّسة الصادق للطباعة والنشر ، ط2، طهران، 1384هـ.
56. شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام الأنصاري (ت761هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المطبعة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، ط11، مصر 1383هـ - 1963م.
57. شرح المفصل للشيخ موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت 643 هـ)، ط1، منشورات ذوي القربى ، مطبعة سليمان زادة ، قم،1392هـ .
58. ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفيّة د.وسميَّة عبد المحسن المنصور، بحث نشر مرة ثانية في إصدارات مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية 2005م.
59. علم المعاني ، الدكتور درويش الجندي ، ط2، مكتبة نهضة مصر ، 1381هـ -1963م.
60. علم المعاني في الموروث البلاغي: تأصيل وتقييم - حسن طبل، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، 2004
61. العدول عن النظام التركيبي في أسلوب القرآن الكريم ، حسن منديل حسن العكيلي ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، 2008(اطروحة دكتوراه) .
62. فصول في اللغة والنقد، د. نعمة رحيم العزاوي. المكتبة العصرية. ، دار المثنى للطباعة والنشر.ط1، العراق - بغداد. 1425 هـ - 2004 م .
63. في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق د. خليل أحمد عمايرة ، دار عالم المعرفة ، ط1 ، جدة 1984م
64. القاموس المحيط ، للفيروزآبادى (ت817هـ) ، مؤسسة الرسالة للطباعة ، بيروت -1426 هـ - 2005 م
65. كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة ، ط4،مصر ، 1425هـ - 2004م.
66. كتاب اللامات ،لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت337هـ)، تحقيق مازن المبارك ، دار صادر ، ط2، بيروت ، 1412هـ - 1992م.
67. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، 1366هـ 1947م.
68. الكشف والبيان في تفسير القرآن ، للثعلبي (ت 427 هـ)، تحقيق : سيد كسروي حسن ، منشورات محمد علي بيضون ، دارالكتب العلمية ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 1425- 2004 م .
69. لسان العرب ، لابن منظور (ت 711هـ) ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عاصم أحمد حيدر ، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت - لبنان ،1426هـ -2005م.
70. اللمع في العربية ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني(ت 392هـ) ، تحقيق حامد المؤمن ، منشورات منتدى النشر النجف الأشرف ، مطبعة العاني ، ط1، بغداد 1402،هـ-1982م.
71. كتاب المقتصد في شرح الإيضاح ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ،1982م.
72. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير،(ت637هـ)تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة .
73. مجمع البيان في تفسير القرآن ،للطبرسي ، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط1، بيروت- لبنان ، 1415هـ -1995م.
74. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (ت546هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت - لبنان ،1422هـ - 2001م.
75. مستويات السرد الوصفي القرآني ، د. طلال خليفة سلمان ، مجلة تراث النجف العدد 2 ،1434هـ .
76. معاني القرآن ، للفراء (ت207هـ) ، ج1 تحقيق احمد يوسف نجاتي ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980م. وج2 تحقيق الأستاذ محمد على النجار ، 2000م، وج3تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي 2001م.

77. معاني النحو ، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط5، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن - عمان ، 1432هـ-2011م.
78. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري(ت761هـ) ، حققه وفصله وضبط غرائبة محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت).
79. مفتاح العلوم ، للسكاكي (ت626هـ)،ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت – لبنان ، 1403هـ - 1983م.
80. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت502هـ) ، تحقيق وضبط إبراهيم شمس الدين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط1، بيروت - لبنان ، 1430هـ - 2009م.
81. المفصل في صنعة الإعراب .للزمخشري (ت538هـ) ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور أميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 1420هـ - 1999م.
82. مقالات في اللغة والأدب - تمام حسان ، عالم الكتب.القاهرة - مصر.2006
83. المقتضب، لأبي العبَّاس محمد بن يزيد المبرِّد (ت285هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عُضيمة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان، 1431هـ- 2010م.
84. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ، للغرناطي ، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية .
85. من اسرار البلاغة فى القران ، محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية، 1984
86. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، للأزهري (ت 905هـ) ، تحقيق:الدكتور عادل محمد عبد الرحمن والدكتور خليل إبراهيم السامرائي ، ط1، مركز البحوث والدراسات،العراق - بغداد 1432هـ - 2011م.
87. الميزان في تفسير القرآن ، للطباطبائي ، مؤسسة اسماعيليان مطبعة اسماعيليان ،ط ٥ ، ١٤١٢ هـ.ق
88. نحو الفعل ، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004
89. نحو المعاني، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1407هـ - 1987م.
90. النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): للرماني(ت386هـ). تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط5، القاهرة ، 2008م.
91. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، عني تصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ، (د . ت) .